النسق الاجتماعي في شعر أبي العتاهية

الباحث
رفعت اسوادي عبد حسون الناشي

الأستاذ المساعد الدكتور
حسين عبيد الشمري
جامعة القادسية ـ كلية الآداب

النسق الاجتماعي في شعر أبي العتاهية

الباحث
رفعت اسوادي عبد حسون الناشي

الأستاذ المساعد الدكتور
حسين عبيد الشمري
جامعة القادسية ـ كلية الآداب

المبحث الأول

١ـ حياته ونشأته:

تُعَدُّ أدوات النقد الثقافي المتعددة الوسيلة المثلى للوصول إلى نتائج بحثية حقيقية ومرضية، يستطيع أن يكشف الباحث من خلالها ما خفي بحياة أو سيرة معينة لشخص ما أو الغوص في نتاجه العلمي أو الأدبي، إذ تتيح هذه المناهج فسحة كبيرة للباحث من خلال تعددها أن تجلي ما خفي واضمر بين السطور، فمن سماته أنه يشارك جميع المناهج البحثية، من أدبية وتاريخية ونفسية واجتماعية ولاسيما التاريخانية (التحليل الثقافي)، فلا حدود معينة ولا عقبات، ومن هنا يمكن أن نسلط الضوء على حياة شاعر عربي كبير مثل: أبو العتاهية.

هو إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان(*) العنزي أبو إسحاق، مولى عنزة العيني(*) الكوفي، ولد سنة (١٣٠هـ ٧٤٨م)، وينتهي نسبه إلى عنزة بالولاء(١)، أبصر النور في قرية قرب مدينة كربلاء، نشأ في بداية حياته نشأة تحمل في طياتها البؤس والحرمان(٢)، ثم كانت نشأته الثانية بالكوفة يصنع الجرار الخزفية الخضر هو وأهله(٣)، لما كانوا يعانونه من فقر وجوع وتعرٍ، في حياتهم القاسية نتيجة تردي الأوضاع الاقتصادية والسياسية(٤).

لقب بأبي العتاهية لاضطراب كان فيه(٥)، وقيل: بل كان يحب المجون والخلاعة فكني لعتوه (أبا العتاهية)(٦)، أما (**ابن العديم**) فيقول: ((بل كان ابنه محمد يلقب عتاهية فكني به))(٧).

كانت كنيته أبا إسحاق، قال له المهدي معجبا به: ((أنت إنسان متحذلق معتّه، فاستوت له من ذلك كنية غلبت عليه دون اسمه وكنيته)) (٨)، لم يعترض أبو العتاهية ولم يحاول أن يرفض هذه التسمية، ولم نلحظ أي تذمر أو اعتراض في أشعاره لو كان بها عيب، والمهدي رجل عربي مطبوع في اللغة، وأبو العتاهية كذلك، يقول ابن منظور:

((رجل مُعَتَّه إذا كان عاقلاً معتدلاً في خَلْقِه؛ وعُتِه فلانٌ في العلم إذا أُولِعَ به وحَرَصَ عليه؛ وعُتِه والعَتاهَةُ والعَتاهِيَةُ: ضُلَّالُ الناس من التَّجَنُّنِ والدَّهَشِ؛ ورجل مَعْتُوه بيِّنُ العَتَه والعُتْه: لا عقل له؛ وتعَتَّه: تَجاهل؛ وفلانٌ يتَعَتَّه لك عن كثير مما تأتيه أي يتغافل عنك فيه؛ والتَّعتُّه: المبالغة في المَلْبَس والمأكل؛ وتعَتَّه فلانٌ في كذا وتأرَّبَ إذا تَنَوَّقَ وبالَغَ؛ وتعَتَّه: تنَظَّف))[٩].

أما (**الفيروز آبادي**) فذكر ذلك قائلاً:

((العتاهة، والتعته: التجاهل والتغافل أو التنظف والتجنن والرعونة والمبالغة في الملبس والمأكل، والمُعته كمعظم: العاقل المعتدل الخلق والمجنون المضطربة ضد))[١٠].

قال الراجز:

علـــيَّ ديبـــاجُ الشـــبابِ الأدهـــنُ في عتـــهيّ اللَّـــبس والتقـــيّن[١١]

وهذا ما أيده (**ابن الجوزي**) بترجمته لأبي العتاهية: ((العتاهية من التعته وهو التحسن والتزين، قال: وقد كان يتحسن في زمن شبابه))[١٢].

لم يجد الباحث من خلال استقرائه الديوان، ما يشير إلى الخلاعة والمجون في شعر أبي العتاهية، وإنما لاحظ وجود حب الشاعر للعلم والموعظة والحكمة والتزين براشدة العقل، واستدل بالمواعظ والاعتبار التي كانت الملوك تطلبها منه، فلو كان خليعا أو ماجنا أو مختل العقل لما طلب منه الحكمة والموعظة[١٣].

ولم يجد الباحث في كتب المجايلين له، ما يشير إلى أنه ماجن أو خليع أو قليل العقل[١٤]، بل نراه مرشداً وناصحاً للغافلين، يقول أبو العتاهية: ((أخرجني المهدي معه إلى الصيد، فوقعنا منه على شيء كثير، فتفرق أصحابه في طلبه وأخذ هو في طريق غير طريقهم فلم يلتقوا، وعرض لنا واد جرّار وتغيّمت السماء وبدأت تمطر فتحيّرنا، وأشرفنا على الوادي فإذا فيه ملَّاح يعبّر النّاس، فلجأنا إليه فسألناه عن الطريق، فجعل يضعف رأينا ويعجزنا في بذلنا أنفسنا في ذلك الغيم للصيد حتى أبعدنا، ثم أدخلنا كوخا له، وكاد المهديّ يموت بردا؛ فقال له: أغطّيك بجبتي هذه الصوف؟ فقال نعم؛ فغطَّاه بها، فتماسك قليلا ونام، فافتقده غلمانه وتبعوا أثره حتى جاؤونا، فلمّا رأى الملَّاح كثرتهم علم أنه الخليفة فهرب، وتبادر الغلمان فنحّوا الجبّة عنه وألقوا عليه الخزّ والوشي، فلما انتبه قال لي: ويحك! ما فعل الملَّاح؟

فقد واللَّه وجب حقّه علينا، فقلت: هرب واللَّه خوفا من قبح ما خاطبنا به، قال: إنّا للَّه! واللَّه لقد أردت أن أغنيه، وبأيّ شيء خاطبنا! نحن واللَّه مستحقّون لأقبح مما خاطبنا به! بحياتي عليك إلَّا ما هجوتني، فقلت: يا أمير المؤمنين، كيف تطيب نفسي بأن أهجوك! قال: واللَّه لتفعلنّ؛ فإني ضعيف الرأي مغرم بالصّيد، فقلت:

يـــا لابِـــسَ الوَشـــيِ علـــى ثَوبِـــهِ ... مـــا أقـــبَحَ الأشـــيَبَ فِي الـــرّاحِ

فقال: زدني بحياتي؛ فقلت:

لـــوْ شِـــئْتَ أيْضـــاً جُلـــتَ فِي خامـــةٍ ... وفِي وِشـــــــاحَينِ وأوْضـــــــاحِ

فقال: ويلك! هذا معنى سوء يرويه عنك الناس، وأنا أستأهل، زدني شيئا آخر، فقلت: أخاف أن تغضب، قال: لا واللَّه، فقلت:

كـــم مـــن عَظـــيمِ القـــدرِ فِي نَفسِـــهِ ... قَـــــدْ نَـــــامَ فِي جُبّـــــةِ مَلّـــــاحِ

(السريع)

فقال : معنى سوء عليك لعنة اللَّه!))[١٥].

ومما يروى ((صنع الرشيد يوما طعاما كثيرا وزخرف مجالسه وأحضر أبا العتاهية فقال له صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا فقال:

عِـــشْ مـــا بَـــدَا لـــكَ ســـالماً ... فِي ظِـــــلّ شـــــاهقَةِ القُصـــــورِ

(الكامل)

فقال: أحسنت! ثم قال ماذا؟ فقال:

يُســـعَى عَلَيـــكَ بمـــا اشـــتَهيْ ... تَ لَـــــدَى الـــــرّواحِ أو البُكـــــورِ

(الكامل)

فقال أحسنت! ثم ماذا؟ فقال:

فـــــإذا النّفـــــوسُ تَقَعقَعَـــــتْ ... فِي ظـــــلّ حَشـــــرجةِ الصّـــــدورِ

فَهُنـــــاكَ تَعلَـــــمُ مُوقِنـــــاً ... مـــــا كنـــــتَ إلّـــــا فِي غُـــــرُورِ

(الكامل)

فبكى الرشيد، وقال الفضل بن يحيى: بعث إليك أمير المؤمنين لتسره فحزنته فقال دعه فإنه رآنا في عمي أن يزيدنا))[١٦].

وذات يوم دخل أبو العتاهية على الرشيد، ((فقال له الرشيد: عظني، فقلتُ له أخافك، فقال لي: أنت آمن، فأنشدته:

أفنى شبَابَكَ كَرُّ الطَّرْفِ والنَّفَسِ فالدّهرُ ذو غَرَرٍ والدّهرُ ذو خُلَسِ

(البسيط)

قال: فبكى الرشيد حتى بلَّ كمه))[١٧].

نرى أن عظماء بني العباس كانوا يطلبون منه النصح والموعظة والإرشاد، فكيف يطلب من ماجن أو أحمق قليل العقل، والملاحظ أن أبا العتاهية، أبدى للمهدي ما هو حاله لو كان من الطبقة الفقيرة، لذا اتخذ الشاعر سياقاً ثقافياً مختلفاً عمّا كانت عليه في الشعر من خلال الموعظة والتذكير بتشكّل داخل العمق الإنساني والتركيبة النفسية والثقافية للإنسان[١٨]، وأن الطبقة الفقيرة لديها ما يحتاج إليه الملوك وأصحاب الشأن مهما علت مراتبهم، فأعلن له شيئا وأضمر معنى مخالفاً له.

أما مع الرشيد فكانت بساطة الألفاظ وجزالتها منكبة في الخطاب، كما أنّهَ وظّف تلك الألفاظ لشيوعها بقصد بلورة الرسائل الأخلاقية المتتالية ذات الطابع المباشر وذلك بفضل ثقافة أبي العتاهية التي تحمل في ثناياها حتمية الموت والتذكير به، فقد يأتي شعره بالتدريج بمثابة تهيّئ المتلقي نفسياً لغرض ترسيخ الصورة الشعرية وبيان ما أصاب الرشيد من غرور وتبجح، وتكون بمثابة المعادل الموضوعي للدخول في شفرة المرسل والمتلقي.

٢ـ ضعة النسب وحرفته:

كان جده كيسان في عين تمر حين غزاها خالد بن الوليد، وكان يتيما صغيرا يكفله قرابة له، فسباه خالد مع جماعة من الصبيان، وبعث بهم إلى أبي بكر (رضي الله عنه)، وهناك استوهبه عباد بن رقاعة العنزي من الخليفة، فوهبه إياه، ثم أعتقه، فتولى كيسان منذ ذاك، وكان ((ولاؤه من قبل أبيه لبني عنزة ومن قبل أمه لبني زهرة))[١٩]، وقيل إن أصله: من النبط الذين عاشوا في أرض العراق، فهم في نظر المجتمع ((شعب آخر وجنس آخر غريب يحترفون أعمالا يدوية ويمارسون ما تأنف العرب من النزول إلى مستواه

الوضيع))[٢٠]، وأمّه أمّ زيد بنت زياد المحاربيّ مولاة بني زهرة، أما زوجته بنت عمرو اليمامي فكانت مولاة معن بن زائدة[٢١]، والعرب يحتقرون الموالي، ليس لجنسيتهم فحسب وإنما لأعمالهم الزراعية والصناعية التي كانوا يمارسونها[٢٢]، لذا أبعدوهم عن الوظائف النبيلة، فلما ولي سعيد بن جبير القضاء على الكوفة؛ ضج الناس وقالوا لا يصلح للقضاء إلى عربي؛ وكانوا يستخدمونهم في الحروب راجلة؛ وحرموهم العطاء، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فقد وصل أمر التمييز إلى منع زواج الموالي من الأعرابيات، بل وصل حد تطليقهن من أزواجهن[٢٣].

لقد نال من أصله هذا، شرا كثيرا ونبذه به كثيرون، ومن ذلك ما قاله ابن الأعرابي حين أنشده أحدهم هجاء أبي العتاهية لعبد الله بن معن بن زائدة: اعجب لعبد يهجو مولاه[٢٤].

كان أبوه بائع جرار أو كان حجّاما، فمارس أبو العتاهية نفس التركة التي ورثها عن أبيه، وقد ظل على هذه الصنعة عهدا طويلا من عمره، وفي بعض أخباره بقي في صنعته هذه حتى بعد أن قال الشعر واشتهر به، فقد روى (الصولي) عن عبد الحميد بن سريع مولى بني عجل أنه رأى أبا العتاهية وهو جرار (أي يصنع الجرار) يأتيه الأحداث والمتأدبون، فينشدهم أشعاره، فيأخذون ما تكسر من الخزف فيكتبون فيه هذه الأشعار[٢٥]، وفي رواية أخرى تقول إن أبا العتاهية اجتاز في أول أمره، وعلى ظهره قفص فيه فخار يدور به في الكوفة، ويبيع منه[٢٦].

ولم يتوقف أبو العتاهية عند هذه الصناعة بل كان حجاما أيضا، وسئل ذات مرة: ((إنك لما نسكت جلست تحجم اليتامى والفقراء للسبيل أكذلك كان، قال: نعم، قال له: فما أردت بذلك، قال: أردت أن أضع من نفسي حسبما رفعتني الدنيا وأضع منها ليسقط عنها الكبر وأكتسب بما فعلته الثواب))[٢٧]، وأُخبِرَ يحيى بن خالد البرمكي، ((أنّ أبا العتاهية قد نسك، وأنه جلس يحجم النّاس للأجر تواضعا بذلك، فقال: الم يكن يبيع الجرار قبل ذلك؟ فقيل له بلى، فقال: أما في بيع الجرار من الذّلّ ما يكفيه ويستغني به عن الحجامة!))[٢٨]، وقد نفى أبو العتاهية صناعة الجرار عنه لما كان فيها من ذل ووضاعة فقال: ((أنا جرار القوافي وأخي جرار التجارة))[٢٩].

لقد أسهمت الظروف الاجتماعية المحيطة بالشاعر في إبراز استعدادات فطرية[٣٠] كان يعاني منها، ولم يستطع التكيف معها؛ لذا نراه يلجأ إلى تقمص دور الناصح الذي حقق في ارتكازه في التقوى والقناعة والمساواة بين أبناء البشر ارتياحاً نفسياً من جهة، ونبذ ومحاربة الفوارق الطبقية والعرفية ونقدها في مجتمعه آنذاك من جهة أخرى، وبذلك يقول:

دَعْـــنيَ مِـــنْ ذِكْـــرِ أبٍ وجَـــدِّ ... وَنَسَـــبٍ يُعليـــكَ سُـــورَ المَجْـــدِ

مـــا الفَخـــرُ إلّـــا في التّقَـــى والزّهْـــدِ ... وطاعَـــةً تُعْطـــي جِنَـــانَ الخُلْـــدِ

لا بُـــدّ مِـــن وِردٍ لأهـــلِ الـــوِرْدِ ... إمّـــا إلى خَجَـــلٍ وإمّـــا عَـــدّ[٣١]

(الرجز)

لقد سعى الشاعر هنا إلى هدم الأنساق والتقاليد الاجتماعية السائدة من خلال ما يسمى (أبوة الابن)[٣٢]، وجعل الابن بؤرة الحدث وتهميش مركزية الأب المهيمنة في الثقافة السائدة المتناظرة بالأنساب والأعراق، وأنشأ مكانها ثقافة تؤديه من المعاناة بشخصية ترتكز في الابن في معان أخرى مثل: (الزهد، والتقوى، والطاعة) بدلا من التناظر بالأنساب والألقاب.

وفي موضع آخر يقول:

ألا، إنّما التقوَى هيَ العِزّ وَالكَرَمْ ... وَحُبُّـــكَ للـــدّنْيا هـــوَ الـــذّلُّ وَالعَـــدَمْ

وَلَـيسَ عَلـى عَبْـدٍ تَقـيٍّ نَقيصَـةٌ ... إذا صَـحّحَ التّقـوَى، وَإن حـاكَ أوْ حجـمْ[٣٣]

(الطويل)

لقد شكل الخطاب الشعري للشاعر جملا ثقافية تعتمد على ثنائية (الظاهر والمضمر)، في معاني الأبيات السابقة يستشفها القارئ عند قراءة الأبيات الشعرية؛ أنها تعلن أنساقاً مضمرة لمعاناة الشاعر من ضعة النسب في أمه وأبيه وزوجته فقد رأيناه مولى، وإن أباه مولى، وأمه مولاة، وهذه زوجته ابنة لأبٍ مولى، وقد كان ذلك سبباً في شعوره بالضعة في أعماق نفسه[٣٤]، فكان توظيف أبياته الشعرية بمثابة المعادل الصوري الذي يعكس قلق الذات وتجليات الأنا[٣٥] في وسط مجتمع كانت فيه الحرفة والنسب هما المعيار الذي يحدد قيمة وشخصية الإنسان، فضلا عن ذلك ما أورثته الدولة الأموية والعباسية من نشر سياسة

التعصب والقبلية والشعوبية، التي مارستها على الرعية، إذ كانت طبقة الموالي والعبيد محتقرة ومهمشة، وهذا ما تدل عليه المضمرات الواضحة في شعره.

إن حياة أبي العتاهية كانت مضطربة، فانتقاله من الحياة القروية البسيطة إلى الحاضرة القريبة الكوفة، وعمله في صناعة الجرار والتنقل ببيعها في الأزقة، قد ولد نزعة نفسية بات يعاني منها، حتى إذا سئِل أنكر مهنته، ورمى بها أخاه، وهذا يدل على أن ثقافة المجتمع آنذاك كانت تستعيب مثل هكذا أعمال أو حرف، ولكن سوء العيش أجبر أبا العتاهية على مزاولتها.

٣ـ رحلته إلى بغداد:

إن انتقال الشاعر بين بيئتين منح له ثقافة واسعة في نسق شخصي يتراوح بين التحضر والتمدن، وأخذ يختلط ببيئات مع الشعراء أمثال مطيع بن إياس، ووالبة بن الحباب، كما أخذ يختلف إلى حلقات العلماء والمتكلمين في مساجد الكوفة، مما أتاح له إتقان العربية والوقوف على مذاهب أصحاب المقالات، حتى أصبح يروي الحديث النبوي الشريف، ومن الأحاديث التي رواها:

((أخبرنا أبو بكر البرقاني، حدثنا أبو صخر محمد بن مالك بن الحسن بن مالك بن الحكم بن سنان السعدي المروزي - من لفظه بمرو - حدثنا صعصعة بن الحسين الرقي - بمرو - حدثنا محمد بن صدام بن ريحان بن جميل، حدثنا أبي حدثنا أبو العتاهية الشاعر - إسماعيل بن القاسم - حدثنا سليمان بن مهران الأعمش، عن أبي سفيان طلحة بن نافع، عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: "من أكثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار"))[٣٦].

وفي حديث آخر (**لابن حجر**) ((أخبرنا أحمد بن محمد بن غالب ثنا أحمد بن محمد ثنا مالك القاضي ثنا أبو المطاع أحمد بن عصمة الجوزجاني ثنا عبد الجبار بن عبد الرحمن السختياني بمصر حدثني أبو دعامة إسماعيل بن علي بن الحكم وكان قد أربى على المائة (بسر من رأى) حدثني أبو العتاهية حدثني الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ الرزق يأتي العبد في كل مسيرة سار لا تقوى متق بزائده ولا فجور فاجر بناقصه بينه وبين العبد ستر والرزق طالبه، قال وأنشدني أبو العتاهية لنفسه مع الحديث:

ورزقُ الخلـــقِ مجلـــوبٌ إلـــيهم ... مقـــاديرٌ يُقـــدِّرُها الجليـــلُ

فـــلا ذو المـــالِ يرزقُـــه بعقـــلٍ ... ولا بالمـــالِ تنقســـمُ العقـــولُ

وهـــذا المـــالُ يرزقـــه رجـــالٌ ... مناديـــلٌ قـــد اختُبِـــروا فسِـــيلوا

كمـــا تُســـقى ســـباخُ الأرضِ يومـــاً ... وتُصـــرَفُ عـــن كرائمِهـــا الســـيولُ))[٣٧]

(الوافر)

لقد خلق التكيف الشخصي لدى الشاعر مع البيئة الجديدة أنساقاً تتلاءم مع الحياة الجديدة[٣٨]، لذا نراه يبث همومه ومعاناته خلال شعره الناقد لثقافة سائدة في مجتمع متفكك، ونراه يعيد صياغة ثقافية ذاتية بحسب متطلبات شخصيته وحاجتها الملحة مع كل بيئة[٣٩]، فبات يغدو إلى نادي القيان والمغنين تارة، والى مجالس العلماء تارة أخرى[٤٠]، ولم تلبث الصلة أن توثقت بينه وبين مغن ناشئ من النبط دوت شهرته فيما بعد، هو إبراهيم الموصلي، وتعاقدا على أن ينزلا بغداد[٤١]، لعل بضاعتهما تروج فيها، وفتحت الأبواب لإبراهيم بينما سدت في وجه أبي العتاهية[٤٢]، فصمم على العودة إلى الكوفة[٤٣].

لم يطل به المقام في الكوفة، ومردّ ذلك إلى سوء حالته الاقتصادية، وضيق سُبل العيش أمامه، فشدّ الرحال إلى بغداد في خلافة المهدي (سنة ١٥٨هـ - ١٦٩هـ)[٤٤]، فكانت بغداد آنذاك رمزا للحركة الفكرية في العالم الإسلامي، وعاصمة الإسلام وأكبر مراكز الإشعاع الفكري في العالم الإسلامي بل في العالم أجمع[٤٥]، وقد نشأت بينها وبين الكوفة والبصرة أهم مدينتين علميتين في تلك المدة صلات متينة، واستطاعت أن تفرض نفسها عليهما وتجذب العُلماء والشعراء الذين كانوا يجدون فيها مجالاً واسعاً لطموحهم، ولعل رحلته إلى بغداد هي التي فتحت أمامه سُبل العيش، وكانت المرحلة التي عاشها في بغداد من أخصب مراحل حياته وأكثرها تأثيراً في فنه وأدبه[٤٦].

وفي رواية أخرى قالت له أمه: كم تصبر على هذا الضر، فلو صرت إلى بغداد؛ فأطاع أمرها وصار إلى بغداد، واتخذ تختا يبيع فوقه الفلوس، قال أبو العتاهية: فحضرتني أبيات قلتها في سعيد بن منصور، فقال لي: لو قلت شيئا في أمير المؤمنين المهدي أوصلته إليه، فقلت أبياتا، فأمر لي بعشرة آلاف درهم فأخذتها، وانفتح لي الشعر فقلت فيه فأمر لي بمثلها، حتى وصل إلي منه مائة ألف درهم، وكان سعيد بن منصور السبب في ذلك ثم انفتحت لي الأمور[٤٧].

٤ـ الطمع والبخل:

وفي سيرة أبي العتاهية، انه كان يحب المال حبا جما، وتروى نوادر كثيرة عن شدة بخله وحرصه، أما حبه المال فيدل عليه مدحه للخلفاء الذين عاصرهم، وهم: المهدي، والهادي، والرشيد، والأمين، والمأمون[٤٨]، وطمعه بالجائزة منهم، ثم مطالبته لكثير من أصدقائه ذوي الشأن والسلطان في الدولة بالهبات والجوائز[٤٩]، ومعاتبته إياهم، أو هجره لهم كلما قصروا عنه في العطاء، وهناك روايات متواترة تقول انه كان يكنز الذهب والفضة[٥٠]، فقيل له: ((هل تكنز عندك سبعا وعشرين بدرة في دارك لا تأكل منها ولا تشرب ولا تزكي فقال لهو الحق ولكني أخاف الفقر والحاجة ولقد أشتري من عيد إلى عيد ولقد اشتريت في يوم عاشوراء لحما وتوابله بخمسة دراهم))[٥١].

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثنا عبد اللّه بن عطيّة الكوفيّ قال حدّثنا محمد بن عيسى الخزيميّ يقول: ((كان لأبي العتاهية خادم أسود طويل، وكان يجري عليه في كل يوم رغيفين، فجاءني الخادم يوما فقال لي: واللّه ما أشبع، فقلت: وكيف ذاك؟ قال: لأنّي ما أفتر من الكدّ وهو يجري عليّ رغيفين بغير إدام، فإن رأيت أن تكلّمه حتى يزيدني رغيفا فتؤجر! فوعدته بذلك، فلمّا جلست معه مرّ بنا الخادم فكرهت إعلامه أنّه شكا إليّ ذلك، فقلت له: يا أبا إسحاق، كم تجري على هذا الخادم في كلّ يوم؟ قال: رغيفين، فقلت له: لا يكفيانه، قال: من لم يكفه القليل لم يكفه الكثير، وكلّ من أعطى نفسه شهوتها هلك، وهذا خادم يدخل إلى حرمي وبناتي، فإن لم أعوّده القناعة والاقتصاد أهلكني وأهلك عيالي ومالي؛ فمات الخادم بعد ذلك فكفّنه في إزار وفراش له خلق، فقلت له: سبحان اللّه! خادم قديم الحرمة طويل الخدمة واجب الحق، تكفّنه في خلق، وإنما يكفيك له كفن بدينار! فقال: إنه يصير إلى البلى، والحيّ أولى بالجديد من الميّت، فقلت له: يرحمك اللّه أبا إسحاق! فلقد عوّدته الاقتصاد حيّا وميّتا))[٥٢].

يبدو أن هذه الرواية ليس لها وجود، وتناقلها أصحاب التراجم والأثر من كتاب الأغاني دون تفحص، وقد رويت في كتاب الأغاني بسند رجال لا توجد صحة لوجودهم وبعضهم لا يذكرهم أصحاب كتب الرجال والأثر، (سند رجال وهمي به مجاهيل لغرض تمرير الرواية)، وقد تتبع الباحث الكتب الرجالية فوجد:

١- محمد بن عيسى الخزيمي، لا وجود لهذا الاسم إلا في كتاب الأغاني[٥٣].

٢- عبد الله بن عطية الكوفي، لا وجود لهذا الاسم إلا في كتاب الأغاني[٥٤].

٣- علي بن مهدي بن صدقة بن هشام بن غالب بن محمد بن علي الرقي الأنصاري أبو الحسن، من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام[٥٥]، ولا يمكن لهذا الرجل الجليل أن يروي عن مجاهيل.

٤- يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصور، أبو أحمد بن المنجم: كان أديبا شاعرا، ونادم غير واحد من الخلفاء، ولد في سنة إحدى وأربعين ومائتين، وتوفي في سنة ثلاثمائة[٥٦]، وهو شيخ الصولي، والصولي شيخ أبي الفرج الأصفهاني، ولكن الملاحظ هنالك قطع بين أبي العتاهية ويحيى بن علي، فولادته سنة ٢٤١هـ ووفاة أبي العتاهية سنة ٢١١هـ، فهنالك ثلاثون عاماً مجتزئة بينهما من هم رواتها؟.

ويبدو للباحث أن الرواية موضوعة في الأغاني لكون الكتاب مختصاً في الشعراء والأدباء لمآرب أرادها الوضاعون، وهذا لا ينفي أن شعر أبي العتاهية فيه الكثير من ذم البخل ومدحه وفي ذلك يقول في ذم البخل:

عَجَباً مَا يَنقَضِي مني لِمَنْ ... ما لَهُ إنْ سِيمَ مَعرُوفاً حَزِنْ

لم يَضِرْ بُخْلُ بَخيلٍ غَيرَهُ ... فَهُوَ المَغْبونُ لَوْ كانَ فَطِنْ

يا أخَا الدّنْيَا! تأهّبْ للبِلى ... فكَأنّ المَوْتَ قَدْ حَلّ كأنْ[٥٧]

(الرمل)

وقال في مدح البخل:

جُزيَ البَخيلُ على صَنائِعِهِ ... عَنّي بخِفّتِهِ على ظَهرِي

أُعلي وأُكرِمُ عن نَداهُ يَدي ... فَعَلَتْ ونَزّهَ قَدْرُهُ قَدْرِي

ورُزِتُ مِنْ جَدواهُ عارِفةً ... ألّا يَضيقُ بشُكرِهِ صَدرِي[٥٨]

(الكامل)

في ذمه للبخل لجا الشاعر إلى بناء فرضية زمكانية إذ يقول: (يا أخا الدنيا) وهذا مستمد من المرجعيات الدينية الموروثة، وقد وظف رمزية (البلاء)، (الموت قد حل) بهذه المساحة

المغلوقة وكأن الموت يطرق على الأبواب[٥٩]، بل انه أراد القول إن الحياة قد توقفت، وفي مدحه للبخل، يرى الباحث أنَّ الشعر الديني الذي يستخدمه الشاعر في مفاصل الحياة كافة، أكسبه طابعاً ثقافيا تربويا، مستخدما رموزاً تجريدية عائمة، مثل: (ظهري، يدي، قدري، صدري)، إنما هي رموز ذات مرجعيات ثقافية حاضرة في الذاكرة، ويلاحظ أن أبا العتاهية قد كسر النسق الثقافي في تعارضه للخطاب، فتارةً يمدح البخل، وتارةً أخرى يذم، فنرى حصول الازدواج الدلالي بين مدح البخل وذمه، وقد تكون التورية قائمة على الازدواج، بين المعلن والمضمر.

وكان عليّ بن يقطين صديقا لأبي العتاهية، ويبرّه في كل سنة ببرّ واسع، فأبطأ عليه بالبرّ في سنة من السنين، وكان إذا لقيه أبو العتاهية أو دخل عليه يسرّ به ويرفع مجلسه ولا يزيده على ذلك، فلقيه ذات يوم وهو يريد دار الخليفة، فاستوقفه فوقف له، فأنشده:

حتّى متى ليتَ شعري يا بن يقطينِ ... أُثني عليكَ بشيءٍ لستَ تُوليني

إنّ السّلام وإنّ البِشرَ من رجلٍ ... في مثلِ ما أنتَ فيه ليسَ يكفيني

هذا زمانٌ ألحّ الناسُ فيه على ... تَيهِ الملوك وأخلاقِ المساكينِ

أما علمتَ جزاكَ اللَّهُ صالحةً ... وزادكَ اللَّهُ فضلاً يا بن يقطينِ

أنّي أريُدك للدّنيا وعاجِلِها ... ولا أُريدُك يومَ الدِّين للدَينِ

(البسيط)

فقال عليّ بن يقطين: لست واللَّه أبرح ولا تبرح من موضعنا هذا إلا راضيا، وأمر له بما كان يبعث به إليه في كل سنة، فحمل من وقته وعليّ واقف إلى أن تسلَّمه[٦٠].

يرى الباحث أن ذم الفقر والطمع جاء نتيجة الفقر والحرمان وضيق العيش الذي مر به الشاعر، فكان حريصا على أن لا يمسه الفقر ثانية، ولجأ في جنيه المال إلى مدح الخلفاء والأمراء وغيرهم.

المبحث الثاني

المهيمن الاجتماعي

لقد ترك المجتمع العباسي من المجتمع الساساني الفارسي من أدوات لهو ومجون، وساعد على ذلك ما دفعت إليه الثورة العباسية من حرية مسرفة، إذ شاع في الخاصة

والعامة، فقد مضوا يعبون الخمر عبّا ويحتسون الكؤوس حتى الثمالة، حتى أصبح الإدمان عندهم ظاهرة عامة على الرغم من نهي القرآن الكريم عنها وحضه على اجتنابها، إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٦١] ، وكان من أسباب انتشارها وإقبال الناس عليها أن أدى اجتهاد بعض فقهاء العراق إلى تحليل بعض الأنبذة، كنبيذ التمر، والزبيب المطبوخ أدنى طبخ، ونبيذ العسل، والبُرّ والتين، فشرب الخلفاء هذه الأنبذة وشربها الناس، وتهالك بعض الناس إمعانا في المجون[٦٢].

وعمت موجات الغناء والألحان المختلفة من فارسية ورومية، وأقبل المغنون والمغنيات من كل فج عميق، فقد كان لهم دور يتوافد عليها الخلعاء وطلاب المتعة واللهو، وكثر القيان والمقينون، وانتشرت تجارة الرقيق وكان لها أسواق معروفة، أمدها النخاسون بإماء فارسيات، ورروميات، وهنديات، وحبشيات، وشاع المجون واقترن بالزندقة، وفسدت أخلاق الخلعاء فسادا شديدا، وعرف كثير منهم باللواط، وأترف الخلفاء وأعوانهم ترفا شديدا في المسكن والملبس والمأكل والمشرب، وتأنقوا في منازلهم وتعددت ثقافاتهم[٦٣].

وكان الكثير من المجتمع ميالاً إلى المجون ومعاقرة الخمور ومجالسة النساء أكثر من ميله إلى النسك والزهد والتقوى، وقد استغل الشعراء الذين عاشوا في هذا العصر الحرية المفرطة التي أشاعها بعض الحكام الذين كانوا يتحكمون بالخلافة العباسية فراحوا ينظمون الأشعار الخليعة ويذيعونها بين الناس محضضين إياهم على المجون وخلع العذار[٦٤].

وكانت بيوت القيان في الكوفة منتشرة، وكانت أشد خطرا وابعد أثرا من دور اللهو في عصرنا الحديث، يقول محمود لطفي نقلا عن الجاحظ: لو لم يكن لإبليس شرك يقتل به، ولا علم يدعو إليه، ولا فتنة يستهوي بها، إلا القيان لكفاه[٦٥].

ولعل أشهر دار للقيان* في الكوفة دار ابن رامين وهذا الدار كانت أكبر مصدر لإشاعة الإغراء والفساد والفجور في الكوفة، وكان هذا الرجل وأمثاله، مثل: أبي الأصبغ، وابن الخطاب النحاس، وابن عمر يحصلون من وراء هذا الخان على الأموال الطائلة من سراة القوم وأوساطهم، وفي هذا الوسط الفاسد انتشر الشذوذ والفتنة بالغلمان لدرجة أن الجواري كنّ يتشبهن بهم ويطلق عليهن الغلاميات، وتخصصت بعض دور الفساد في تقديم الفتيان دون الفتيات لروادها الشذاذ، لدرجة أنه شاع في تلك البيئة عشق الغلمان[٦٦].

١ـ زاملة المخنثين:

يقول (**الأصفهاني**) إن أبا العتاهية: ((كان في أوّل أمره يتخنّث ويحمل زاملة المخنّثين))[٦٧]، ممن كانوا يخضبون أيديهم ويتزينون ويلبسون ملابس النساء حاملين الزوامل تميزهم[٦٨]، ولعل ريح البطش وارتياع العامة والخاصة للناس في ظل الظروف السياسية السيئة للكوفة، هو الذي حدا في بعض الناس أن يطلب سبيل السقوط والمجانة في رحاب المخنثين[٦٩].

وفي رواية أخرى في الأغاني، ((حدّثني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار قال حدّثني ابن أبي الدّنيا قال حدّثني الحسين بن عبد ربه قال حدّثني عليّ بن عبيدة الرّيحانيّ قال حدّثني أبو الشّمقمق: أنه رأى أبا العتاهية يحمل زاملة المخنّثين، فقلت له: أمثلك يضع نفسه هذا الموضع مع سنّك وشعرك وقدرك؟! فقال له: أريد أن أتعلّم كيادهم، وأتحفّظ كلامهم))[٧٠].

ونرى أن الأغاني أول كتاب يُذكر فيه أنه ((يحمل زاملة المخنثين))[٧١]، أي بعد ما يقارب المائة والخمسين سنة على موت أبي العتاهية، ولم نلحظ ما يوحي بذلك في كتب المجايلين له، ولا كتب النقاد في عصره، ولا كتب أصحاب الأثر، والمعروف عن أبي الفرج، في كل رواية يذكر رجال سنده، وكان أكثر ما يروي عن الصولي، وهذه الرواية دون سند، وهذا غريب من أبي الفرج.

أما الرواية ألأخرى في الأغاني، ففيها: ((حدّثني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار قال حدّثني ابن أبي الدّنيا قال حدّثني الحسين بن عبد ربه قال حدّثني عليّ بن عبيدة الرّيحانيّ قال حدّثني أبو الشّمقمق: أنه رأى أبا العتاهية يحمل زاملة المخنّثين، فقلت له: أمثلك يضع نفسه هذا الموضع مع سنّك وشعرك وقدرك؟! فقال له: أريد أن أتعلّم كيادهم، وأتحفّظ كلامهم))[٧٢]، فمن الملاحظ أن أبا الفرج قال: ((وكان في أوّل أمره يتخنّث ويحمل زاملة المخنّثين))، بينما أبو الشمقمق يقول: ((أمثلك يضع نفسه هذا الموضع مع سنّك وشعرك وقدرك))، وهذا الكلام متناقض يوحي بان أبا العتاهية قد اشتهر بشعره، وكبر في عمره، والمثير للريبة أن لقاء أبي العتاهية بابي الشمقمق في بغداد كان أيام الرشيد أي ناهز عمره أكثر من خمسين سنة، وتحليلا لهذه الرواية نعرض رجال السند على أئمة الجرح والتعديل:

١- أبو الشمقمق مروان بن محمد (ت، نحو ٢٠٠هـ)، مولى مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، شاعر صعلوك هجاء، بصري، قدم بغداد في أيام هارون الرشيد[٧٣].

٢- علي بن عبيدة الريحاني (ت، ٢١٩هـ)، رمي بالزندقة، وليس من أهل الحديث، كما انه ليس من أهل الدين بل مطعون به، ولا يوجد له حديث أو رواية في كتاب الإخوان[٧٤].

٣- الحسين بن عبد ربه، روى الكشي عن محمد بن مسعود، قال: حدثني محمد بن نصير، قال: حدثني احمد بن محمد بن عيسى انه كان وكيل الإمام الهادي عليه السلام، وهذا سند صحيح[٧٥].

٤- الإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)[٧٦].

٥- احمد بن عبد الله بن عمار أبي العباس الثقفي البغدادي (ت، ٣١٤هـ)، الكاتب المعروف بحمار العزير، شيعي المذهب[٧٧].

والرواية وسندها أمام المحللين وأصحاب الاختصاص، مطروحة للنقاش:

إذ لم يغفل أصحاب الجرح والتعديل والأثر أي شاردة أو واردة في حياة أعلام العصر العباسي الأول، لما لهذه الشخصيات من إبداع أدبي وفكري وعلمي، ولماهية هذا العصر من تجديد في الحياة بصورة عامة، فنرى أن كتب الرجال والتاريخ لم تذكر أن أبا العتاهية كان يحمل زاملة المخنثين، إلا في كتاب الأغاني، وأعيد ذكرها بعد سبعمائة سنة، في كتاب شذرات الذهب في أخبار من ذهب (**لابن العماد الحنبلي**)، فقد قال: ((قال الشريف العباسي في شرح الشواهد كان أبو العتاهية في أول أمره يتخنث ويحمل زاملة المخنثين ثم كان يبيع الفخار ثم قال الشعر فبرع فيه وتقدم ويقال أطبع الناس بالشعر بشار والسيد الحميري وأبو العتاهية، وكان من أبخل الناس مع يساره وكثرة ما جمع من الأموال، وأبو العتاهية لقب غلب عليه لأنه كان يحب الشهوة والمجون فكني بذلك لعتوه انتهى ملخصا))، وهذا ليس أسلوب ابن العماد في نقل الرواية، والمعروف عنه أنه كان ينقل كل ما ورد في كتاب العبر للذهبي حرفيا، والذهبي ذكر أبا العتاهية في العبر قائلاً: ((وفيها أبو العتاهية الشاعر المشهور، واسمه إسماعيل بن القاسم العنزي الكوفي البغدادي))[٧٨]، أما رواية ابن العماد، فيرى الباحث أن بها تحاملاً على الشاعر فقد ورد بها كل ما تفرق في مظان الكتب من الكلام الذي يسيء، فضلا عن مصطلح ((أبخل الناس))، الذي لم يرد في أي كتاب، والملاحظ أيضا أن الرواية نسبت إلى الشريف العباسي تحت مسمى: ((قال الشريف

العباسي في شرح الشواهد))، وهذا يراد به الإبهام وعدم الوضوح، فالأمراء العباسيون كلهم يلقبون بالأشراف، فبالإشارة إلى الشريف العباسي تعني ابن المعتز، أو الشريف الرضي، أو الشريف المرتضى، وقد يوحي أن الشريف العباسي عاش في حقبة قديمة تتزامن مع الفترة التي عاشها أبو العتاهية، أما كتاب شرح الشواهد، فمؤلفه بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني (ت،٨٥٥هـ)[٧٩]، ولكن بعد إجهاد عثر الباحث على الشريف العباسي، واسمه عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسي (ت، ٩٦٣هـ)[٨٠]، صاحب كتاب معاهد التنصيص في شرح شواهد التخليص، ولا يتهم الباحث أياً من العلماء وأصحاب الكتب الرجالية، لكن المرجح أن هذه الروايات قد وضعت بعد موت أصحاب هذه الكتب، مثل: أبي الفرج الأصفهاني وابن العماد الحنبلي.

٢ـ المرأة في حياته (حبه):

لا تكتمل صياغة الجسد المؤنث وتمثيله ثقافياً إلا من خلال إضافته إلى الذكورة، ولا يضاف إلى نفسه ولا تضاف الذكورة إليه، فالمرأة زوجة فلان، ولكن فلاناً هذا لا يعترف بكونه زوج فلانة، وهي أم فلان، وقد جرى العرف الثقافي على الاستحياء من ذكر اسم المرأة والتصريح به، ووجودها من حيث التسمية يكون عبر وسيط مذكر مثل: (الشاعرة أم نزار الملائكة)، وهي كائن بلا اسم وبلا هوية إلا من خلال الرجل وعبره، لم تخلق إلا من اجله - حسب زعم الثقافة وليس ذلك في أي نص ديني، بل أن الدين كرم المرأة تكريماً عجزت عنه الثقافة[٨١].

وتقف المرأة على نقطة التماس الحساسة في حياة الرجل أو في خط تفكيره، فالمرأة لعبت دورا حاسما في امتحان آدم عليه السلام، وما زالت تمثل هذا الدور في حياة الإنسان، فالمرأة روحا وجسدا وفكرة، تتفتق في ذهن الرجل، ويتيقظ معها الحب ويكون الرجل أمامها بين حالتين إحداهما سمو والأخرى هبوط، فإن هو استجاب لدواعي الروح، وحرر نفسه من قيد الجسد، فسيتحول إلى طائر يغرد في سماء الحب البهية، ويصير عذريا يغني لصورة يستخلصها خياله من ما يفيض به وجدانه في معاني الجمال والحب والهيام، وذالك هو الشاعر العاشق الذي يتفوق على جسده وينجح في أقسى امتحان في حياته، وأما إن هو خضع لمتطلبات الجسد، واستجاب لدواعي الغريزة البهيمية، فهذا سقوط وخطيئة[٨٢].

ومن الجلي أن أبا العتاهية كان يحب المرأة، وشعره في الحب بادي الرقة، قوي العاطفة،

مشرق الروح، أحب سُعدى النائحة؛ وهي مولاة لآل معن، وكان يحبها أيضا عبد الله بن معن بن زائدة المكنى بأبي الفضل، ونهاه معن عن التعرض لها وتوعده خاصة بعد أن هجاها واتهمها بالنساء(٨٣).

أما حبه لعتبة، وفي رواية عن عتاهية ابن أبي العتاهية يقول: أقبل أبي يمدح المهدي ويجتهد في الوصول إليه، فلما تطاولت أيامه أحب أن يشهر نفسه بأمر يصل به إليه، فلما بصر بعتبة راكبة في جمع من الخدم تتصرف في حوائج الخلافة، تعرض لها وأمل أن يكون تولعه بها هو السبب الموصل له إلى حاجته، وانهمك في التشبيب والتعرض في كل مكان لها، والتفرد بذكرها وإظهار شدة عشقها(٨٤).

والواضح من الأخبار والروايات أن ولعه بعتبة(٨٥) استمر أكثر من عشرين عاما، وضاق المهدي به وبإلحاحه عليه بشأنها، وإكثاره من التشبيب بها بشعره السهل الرقيق الذي شاع بين الناس من عامة وخاصة، فأمر بإحضاره، وجلده نحوا من حد، وأخرج مجلودا، فرأته عتبة فبكت حتى فاض دمعها، فأنشد أبو العتاهية:

بَـخٍ بَـخٍ يـا عُتْـبُ مَـنْ مِـثْلُكُمْ ... قَـدْ قَتَـلَ الْمَهْـدِي فـيكُمْ قَتيـلْ(٨٦)

(السريع)

وصادفها المهدي باكية عند الخيزران، فأراد أن يترضاها، فأمر لأبي العتاهية بخمسين ألف درهم، ففرقها أبو العتاهية على من بالباب(٨٧)، ولما سأله الخليفة في ذلك قال: ما كنت لآكل ثمن من أحببت، ولم يمتنع أبو العتاهية ولم يرتدع بعد هذا الذي لقيه من أجل معشوقته من بلاء وضرب مبرح، بل ظل عاكفا على رغبته مما أثار المهدي مرات عدة(٨٨)، فسجنه أكثر من مرة، ولما لم يمتنع نفاه عن بغداد إلى الكوفة، وهناك ظل يشبب بصاحبته وينشد شعره فيها، ولقد أضر ذلك كله بصحته وبعينيه خاصة، حتى رثا الناس لحاله وأشفقوا عليه من اتصال وجع عينيه وملازمته طبيبا لعلاجهما(٨٩)، وأنشد بذلك يقول:

أيـا وَيـحَ قَلـبي مِـن نَجـي البَلابِـلِ ... ويـا وَيـحَ سـاقي مِـن فُـرُوحِ السّلاسِـلِ

ويـا وَيـحَ نفسـي وَيحَهـا ثم وَيحَهـا ... ألم تَـنجُ يَومـاً مـن شِـباكِ الحَبائِـلِ

ويـا وَيـحَ عَـيني قـد أضَـر بها البُكـا ... فلَـم يُغـنِ عَنـها طِـبُّ مـا في المكاحِـلِ

ذَريـــني أُعَلّـــل نَفسِـــيَ اليَـــومَ إنّهـــا رَهينَـــةُ رَمـــسٍ في ثَـــرًى وجَنـــادِلِ[٩٠]

(الطويل)

أراد الشاعر أن يكرّس نمطاً من الأنساق المغايرة في الشكل الشعري الذي عهده وبات يبكي على نفسه وعينيه، من خلال لجوئه لمفردات كرسها للتعبير عن ألمه وأحاسيسه وفجوعه، وبلغة تكاد تقترب من الطبيعة الدرامية، كل ذلك من أجل عتبة، التي لا يستطيع أن يتخلى عن حبه إياها، مستعذباً في حبها مقيما على إخلاصه لهذا الحب برغم ما ينزل به من أرزاء قاسية، ومحن بالغة، أنزلها به المهدي، بل إن المهدي يموت، ويخلفه الهادي، ويعقبهما الرشيد، وأبو العتاهية لا يزال حافظا لهواه راعيا لحبه، ولا يفتأ يكرر محاولاته في سبيل الحصول على عتبة مع الرشيد في غير فتور ولا يأس، وكان مما قوى عزمه، وأمد له في حبال الأمل انه كانت بينه وبين الرشيد قبل أن يلي الخلافة علاقة قوية ومصاحبة في مجالسه ونزهاته، وقد حاول الرشيد في هذه السبيل محاولة صادقة ولكن الخيزران كانت لا تزال تتمسك بجاريتها التي لم تكن تملك من أمر نفسها شيئا، وكانت قد عرفت رغبة مولاتها القوية وإصرارها عليها[٩١].

أكثر أبو العتاهية على الرشيد في شأن عتبة، فوعده الرشيد بتزويجها إياه وأنه سوف يسألها في ذلك، وكان أبو العتاهية يذكره الوعد في ذكاء وخفة روح وإلحاح أيضا، وانتهى الأمر بأن طلب الرشيد إلى عتبة أن تنتظره في دارها، فأكبرت ذلك وأعظمته، وصارت إليه، فلما كان الليل سار إليها ومعه جماعة من خواص خدمه، فقال لها: لست أذكر حاجتي أو تضمنين قضاءها، قالت: أنا أمتك وأمرك نافذ فيّ ما خلا أمر أبي العتاهية، فإني حلفت لأبيك بكل يمين يحلف بها برّ وفاجر، وبالمشي إلى بيت الله الحرام حافية، كلما انقضت عني حجة وجبت عليّ أخرى لا أقتصر منها على الكفارة، وكلما أفدت شيئا تصدقت به إلا ما أصلّي فيه، وبكت بين يديه، فرق لها ورحمها وانصرف عنها، وغدا عليه أبو العتاهية وهو لا يشك في الظفر بها[٩٢]، فقال له الرشيد: والله ما قصّرت في أمرك، وشرح له الخبر، قال أبو العتاهية: فلما أخبرني بذلك مكثت مليا لا أدري أين أنا، ثم قلت: الآن يئست منها إذ ردّتك، وعلمت أنها لا تجيب أحدا بعدك، فلبس أبو العتاهية الصوف، وأنشد يقول[٩٣]:

قَطَّعْـــت مِنْـــكِ حَبَائِـــلَ الآمـــالِ وحَطَطْـت عـن ظهْـر المَطـيِّ رحـالي

وَيَئسْـتُ أن أبقَـى لشـيء نِلـتُ مـمّ مـا فيـكِ يـا دُنيـا وَأن يَبقَـى لي

ووَجَـدْتُ بَـرْدَ اليَـأسِ بَـيْنَ جَـوَانِحِي فَغَنيـت عـن حِـلٍّ وعـن تَرْحَـالِ[٩٤]

(الكامل)

واضح أنَّ الشاعر خلال هذه القصيدة يتخذ من بكاء الذات والشعور بتواشج الخيبة والخذلان، خطّاً أساسياً لاستظهار آلام النفس الذي عانى منه خلال سنين حبه الطويلة لعتبى، مروراً بغروره في حياته التي أصبحت قاحلة مظلمة مبتورة الحقائق بعد أن أفاق من حلمه؛ تجتاحها سيول الزمن وسنواتها القلقة؛ وتصطدم بجدار الرفض المطبق بعد طول الانتظار، وشدة العجز، وشللَ القدرةِ في الاستجابة لنداء الجرح العميق، وقد امتزجَ ذلك بندب النفس، والإحساس بمفارقة الحياة وهيمنة ذلك الإحساس، ولد لديه شعور الافتراق النهائي.

وبعد هاتين التجربتين المريرتين بين حبه الأول والثاني، قرر أن يميت قلبه إلى الأبد، ونقل دلالة (المرأة) بوصفها أداة ثقافية فاعلة داخل نصه الشعري إلى دلالة (الموت) بعد فقدان الأمل الحقيقي بحبه، وأن ينصرف عن متع الدنيا وملذاتها وأن يعتزل الناس ويفرض على نفسه حياة تقوم على الزهد والتقشف، ومضى في زهده يجاهد نفسه مجاهدة عنيفة، إذ فرض على نفسه الحج كل عام، كما فرض عليها اعتزال الناس والميل إلى الوحدة، ومفارقة مجالس اللهو والشعر والغزل، كما كان يفرض على نفسه أحيانا أن يصوم عن الكلام، ومضى يمارس هذه الرياضات الروحية حتى ودّع الحياة.

أمره الرشيد أن يتغزل، فأبى، فقال له الرشيد: بالأمس ينهاك أمير المؤمنين المهدي عن الغزل فتأبى إلا لجاجا ومحكا؛ واليوم آمرك بالقول فتأبى جرأة عليّ وإقداما، فأمر الرشيد بزجه في السجن، والأسباب الحقيقية لهذا السجن ليست واضحة تماما، فيذكر أن الرشيد سجنه لأنه طلب إليه أن يقول شعرا في الغزل ولكنه رفض، وصمم الخليفة على طلبه، وصمم الشاعر على امتناعه، وأقسم الخليفة عليه ليقولن شعرا في الغزل أو ليسجنن، وأقسم الشاعر ليصومنّ عن الكلام كله إلا عن قراءة القرآن وذكر لا إله إلا الله محمد رسول الله لمدة سنة، وثارت ثائرة الرشيد، وألقى به في السجن[٩٥].

المبحث الثالث

النسق العقدي

كان ظهور حركتي الشعوبية والزندقة في العصر العباسي لها الأثر الكبير في العلماء والشعراء والأدباء، وكل من يسير عكس التيار الذي رسمته الدولة العباسية، فتهمة الزندقة كانت حاضرة ومهيأة، والحركتان وان اختلفتا في الاتجاه والأسلوب، متفقتان في الهدف والمضمون؛ تلتقيان في بغيهما وحربهما للإسلام، وذلك في الشك والإلحاد، فالشعوبية تعني الاستهانة بالعرب والازدراء بهم، وتجريدهم من كل فضل والتعصب للفرس، وهي تهدف إلى مسخ الإسلام وحضارته، والاعتزاز بالتقاليد الفارسية والعودة إليها[٩٦].

أما الزندقة فتعني دعوة أصحاب ماني المجوسية لانحرافهم وتأويلهم كتاب زردشت صاحب الثنوية، ولقد مزج صاحبها ماني بين الزرادشتية (الهي النور والظلمة والزواج بالبنات والأخوات)، والبوذية (التناسخ وتحريم ذبح الحيوان)، والنصرانية (الزهد والنسك)، والمزدكية التي تؤمن بالثنوية، والإمعان في اللذات والشهوات (الإباحية)، واتسع معنى الزندقة من ديانة المجوس إلى سائر أتباع الديانات الفارسية التي تظاهر أهلها بالإسلام، إلى كل كفر وإلحاد وشك وفلسفة ومجاهرة بالمجون والإثم، وقد صحبت هذه الدعوة سلسلة من الانحرافات الخطيرة في حياة الدولة، متخذة نشاطا فرديا وآخر اجتماعيا[٩٧].

١ـ رميه بالزندقة:

كان أبو العتاهية مجبر التفكير وكان أهل عصره ينسبونه إلى القول بمذهب الفلاسفة ممن لا يؤمن بالبعث ويحتجون بأن شعره إنما هو في ذكر الموت والفناء دون ذكر النشور والمعاد[٩٨].

وفي الأغاني ((إن مذهبه كان القول بالتوحيد وان الله خلق جوهرين متضادين لا من شيء ثم انه بنى العالم هذه البنية منهما، وان العالم حديث العين والصنعة لا محدث له إلا الله))[٩٩].

وكان يزعم أن الله سيرد كل شيء إلى الجوهرين المتضادين قبل أن تفنى الأعيان.

ولكن ما هذان الجوهران المتضادان اللذان كان يزعم أن الله خلقهما، أهما النفس

والمادة أو هما شيء آخر؟ هذا ما لم نجد له تعريفا[١٠٠].

وكان يذهب إلى ((أن المعارف واقعة بقدر الفكر والبحث والاستدلال طباعا، ويقول بالوعيد وتحريم المكاسب، ويتشيع بمذهب الزيدية والبتريّة المبتدعة لا يتنقص أحداً ولا يرى مع ذلك الخروج على السلطان، وكان مجبرا))[١٠١].

ويظهر من ما روي عنه انه كان يذهب أيضا مذهب المعتزلة ويقول بخلق القرآن، فقد حدث أبو شعيب صاحب ابن أبي داوود قال:

قلت لأبي العتاهية: القران عندك مخلوق أم غير مخلوق؟.

فقال: أسألتني عن الله أم غير الله؟.

قلت: عن غير الله.

فأمسك وأعدت عليه فأجابني هذا الجواب، حتى فعل ذلك مرارا.

فقلت له: ما لك لا تجيبني؟.

قال: قد أجبتك ولكنك حمار[١٠٢].

غير أن العباس بن رستم يقول: ((كان أبو العتاهية مذبذبا في مذهبه يعتقد شيئا فإذا سمع طاعنا عليه ترك اعتقاده إياه وأخذ غيرة))[١٠٣] فهو لا يتعصب لرأيه، وقد نفى المستشرق نيكلسون اعتناق الشاعر هذا المذهب[١٠٤]مستدلا بقول الشاعر:

بَلْ أيْنَ أهْلُ التُقى بَعْدَ النبيّ وَمنْ ... جَاءَتْ بِفَضْلِهِمُ الآيَاتُ وَالسُوَرُ

اعْدُدْ أبَا بَكرٍ الصَّدّيقَ أَوَّلَهُمْ ونَادِ ... مِنْ بَعْدِهِ يِفي الفَضْلِ يا عُمَرُ

وَعُدَّ مِنْ بَعْدِ عُثْمانِ أَبَا حَسَنٍ ... فَإنَّ فضْلَهُما يُرْوى وَيُذَّكرُ[١٠٥]

(البسيط)

ويذهب (**شوقي ضيف**) إلى هذا الرأي إذ يقول ((ونؤمن مع نيكلسون بأنه لم يعش هذا المذهب حقا، إذ يشيد في أشعاره بأبي بكر وعمر وعثمان))[١٠٦].

يقول (**الكفراوي**): ((لو لم تنص كتب التاريخ على أن أبا العتاهية كان يتشيع لتوقعت أن تكون له ميول شيعية، وذلك لسبب يسير، وهو أن الشيعة إذ ذاك كانت تمثل المعارضة

للحكم العباسي والى حد كبير تمثل ثورة الموالي ضد العرب))[١٠٧].

ويبدو للباحث أن الخلط في عقائد الفرق الشيعية عامة والشيعة الزيدية خاصة ما دفع **(نيكلسون)** ومن تبنى رأيه من بعده إلى نفي هذا المذهب عن الشاعر، فالشيعة الزيدية ((عقيدة لا تتجه إلى الطعن في الصحابة))[١٠٨]، ولاحظ الباحث رؤى المتأخرين لم تأخذ حيزها في البحث والتحليل إنما استسهل الباحثون هذه الآراء المذكورة في كتاب الأغاني وبنوا عليها استنتاجاتهم.

روي أن منصور بن عمار* قص يوما على الناس وأبو العتاهية حاضر فقال: إنما سرق منصور هذا الكلام من رجل كوفي، فبلغ قوله منصورا فقال أبو العتاهية زنديق، أما ترونه لا يذكر في شعره الجنة ولا النار، وإنما يذكر الموت فقط، كذلك شنّع عليه، وقال: يتهاون بالجنة ويذكر عتبة بمثل هذا التهاون! وشنّع عليه أيضا بقوله:

إنَّ الْمَليـــــــــــــــكَ رَآكِ أحْ ... سَـــــنَ خَلْقِـــــهِ ورَأى جَمالـــــكْ

فَحَـــــذا بِقُـــــدْرَةِ نَفْسِـــــهِ ... حُـــورَ الْجِنـــان عَلـــى مِثالِـــكْ[١٠٩]

(مجزوء الكامل)

وقول آخر في عتبة:

كـــأنّ عُتّابَـــةَ مـــن حُسْـــنِها ... دُميَـــةُ قَـــسّ فتَنَـــتْ قَسّـــهَا

يـــا رَبُ لـــوْ أنْسَـــيتَنيها بمَـــا ... في جنّـــةِ الفـــرْدوْسِ لم أنسَـــهَا[١١٠]

(السريع)

وقال: أيصوّر الحور على مثال امرأة آدميّة واللّه لا يحتاج إلى مثال! وأوقع له هذا على ألسنة العامّة؛ فلقي منهم بلاء، فبلغ ذلك أبا العتاهية فقال:

إنَّ يَـــوْمَ الْحســـابِ يَـــوْمٌ عَســـيرُ ... لَـــيْسَ لِلظّـــالِمين فيـــهِ نَصـــيرُ

فاتَّخِـــذْ عُـــدَّةً لِمُطَّلَـــعِ الْقَبْـــرِ ... وهَـــوْلِ الصِّـــراطِ يـــا مَنْصـــورُ[١١١]

(الخفيف)

ووجه بها أبو العتاهية إلى منصور، فندم على قوله وحمد الله وأثنى عليه وقال:

أشهدكم أن أبا العتاهية قد اعترف بالموت والبعث، ومن اعترف بذلك فقد برئ مما قذف به[١١٢]، ولكن القصة دونها أهل السير وتناقلها ابن قتيبة الدينوري[١١٣]، وابن المعتز[١١٤].

شهد رجل على أبي العتاهية بالزندقة وهو بطوس مع الرشيد فحبسه الرشيد منذ غدوه إلى العصر وطلبوا شاهدا آخر فلم يجدوا فأطلقه ثم حبسه ثانية فدخلنا عليه الحبس فأنشدنا:

هِـــــيَ الْأَيّـــــامُ والْعِبَـــــرُ ... وَأَمـــــــــرُ اللهِ يُنتَظَـــــــــرُ

أَتَيْـــــأسُ أنْ تَـــــرى فَرَجـــــاً ... فـــــأينَ اللهُ والْقَـــــدَرُ[١١٥]

(مجزوء الوافر)

وقال أيضاً:

فَيـــا عَجَبَـــا كيـــفَ يَعصِـــي ... الإلـــهَ أمْ كَيـــفَ يَجحَـــدُهُ الجاحِـــدُ

ولله ِفي كـــــلّ تحريكَـــــةٍ ... وفي كـــــلّ تســـــكينَةٍ شـــــاهِدُ

وفي كـــل شـــيءٍ لَـــهُ آيَـــةٌ ... تَـــدُلّ علـــى أنّـــهُ الواحِـــدُ[١١٦]

(المتقارب)

فأطلقه الرشيد[١١٧].

قال: (**أبو نواس**) (ت،١٩٨هـ)، ((فو الله ما رأيته قط إلا توهمت أنه سماوي وأنا أرضي))[١١٨].

أما (**الجاحظ**) (ت،٢٥٥هـ) فيقول: ((والمطبوعات على الشعر من المولدين بشار العقيلي والسيد الحميري وأبو العتاهية وابن أبي عيينة)) واستشهد بشعره في خمسة عشر موضعاً[١١٩].

ويرى (**الخطيب البغدادي**) (ت،٤٦٣هـ) أن ((أبا العتاهية، وهو أحد من سار قوله، وانتشر شعره، وشاع ذكره، ويقال إن أحدا لم يجتمع له ديوانه بكماله لعظمه، وكان يقول في الغزل والمديح والهجاء قديماً، ثم تنسك وعدل عن ذلك إلى الشعر في الزهد وطريقة الوعظ، فأحسن القول فيه، وجود وأربى على كل من ذهب ذلك المذهب، وأكثر شعره

حكم وأمثال، وكان سهل القول، قريب المأخذ، بعيدا من التكلف، متقدما في الطبع))[١٢٠].

يقول (**ابن عبد البر**) (٣٦٨-٤٦٣هـ)، ((لقد عجبت من أبي محمد بن قتيبة عفا الله تعالى عنه كيف جاز عليه ما نسبه أهل الفسق إليه حسدا له، ولم يتدبر أشعاره في التوحيد، والإقرار بالوعد والوعيد، والمواعظ التي لا يفطن لها إلا سليم القلب، ولعله مال إلى قول منصور بن عمار الواعظ))[١٢١].

إن ابن عبد البر الأندلسي هو الذي جمع أشعار أبي العتاهية وأخباره، وحققه شكري فيصل، وكان ذلك إنصافا لأبي العتاهية وإبراز الصفات الإيمانية التي رافقت أبا العتاهية طوال حياته، وما قدمه من حكم ومواعظ في مجتمع تفشت فيه وسائل اللهو والمجون[١٢٢].

ويرى الباحث من خلال دراسته لحياة أبي العتاهية أن رميه بالزندقة كان أيام الرشيد العباسي، بدلالة وجود الواعظ منصور بن عمار في بغداد، وسجنه من قبل الرشيد بعد اتهامه بالزندقة، أي أن عمر أبي العتاهية كان أكثر من خمسين سنة.

٢ـ جبري المذهب:

من خلال متابعة الباحث للمصادر وجد أن أبا العتاهية كان إمامي المذهب في الفروع ومن المجبرة في الأصول، كما صرح بالجبر في أشعاره[١٢٣]، فضلا عن ذلك رميه بعدة مذاهب من الذين يكنون له الحسد والعداء، إلا انه كان[١٢٤] من المجبرة[١٢٥].

والمجبرة الذين قالوا ليس لنا صنع ونحن مجبرون يحدث الله لنا الفعل عند الفعل، وإنما الأفعال منسوبة إلى الناس على المجاز لا على الحقيقة، وتأولوا في ذلك بآيات من كتاب الله لم يعرفوا معناها، مثل قوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[١٢٦]، وقوله: ﴿فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا﴾[١٢٧]، [١٢٨].

والقرآن كله رد عليهم، قال الله تبارك وتعالى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[١٢٩]، وقوله عزّ وجل: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[١٣٠]، وقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[١٣١]، وقوله: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ﴾[١٣٢]، وقوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا

كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[١٣٣]، وقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[١٣٤]، يعني بينا له طريق الخير وطريق الشر[١٣٥].

وقد ذكر ذلك في مواضع من شعره:

لَعَمْرُ أبي! لَوْ أنّني أتَفَكّرُ ... رَضِيتُ بما يُقْضَى عليّ ويُقْدَرُ
تَوَكّلْ على الرحمنِ في كلّ حاجَةٍ ... أرَدتَ فإنّ اللّهَ يقضِي ويَقْدِرُ
متى ما يُرِدْ ذو العرشِ أمْراً بعَبْدِهِ ... يُصِبْهُ وما للعَبدِ ما يَتَخَيّرُ[١٣٦]

(الطويل)

وقال:

اللّهُ أعْلى يَداً وأكْبَرْ ... والحَقُّ فيما قَضَى وقَدّرْ
وَلَيْسَ للمَرْءِ ما تَمَنّى ... وَلَيسَ للمَرْءِ ما تَخَيّرْ
هَوّنْ عَلَيكَ الأُمورَ وَاعلَمْ ... أنّ لهَا مَوْرِداً ومَصْدَرْ[١٣٧]

(المنسرح)

وقال:

سيكون الّذى قضي ... سِخط العبدُ أم رضي
ليس هذا بدائم ... كلّ هذا سينقضي[١٣٨]

(مجزوء الخفيف)

وقد صرح أنه مجبر في مدح الخلفاء وذوي السلطان ومصاحبتهم، وأنشد بذلك يقول:

رضِيتُ بِبَعضِ الذّلّ خوْفَ جَميعِهِ ... ولَيسَ لِمثْلي بالمُلوكِ يَدان
وكنتُ امرَأً أخشَى العِقابَ وَأتّقي ... مَغَبّةَ ما تَجْني يَدي ولِسَاني
ولَوْ أنّني عائَدْتُ صاحِبَ قُدْرَةٍ ... لَعَرّضْتُ نَفْسِي صَوْلَةَ الحَدَثَان[١٣٩]

(الطويل)

كان الرشيد قد سجن أبا العتاهية لتزهده وتركه الصناعة الشعرية، ثم أطلقه بعد أن رجع إلى حاله الأولى، فقال أبو العتاهية:

يـا بـنَ عَـمّ الـنبيّ سَـمعاً وطاعَـهْ قـد خَلَعنـا الكِسـاءَ والدُّرّاعَـهْ

ورَجَعنـا إلى الصّـناعَةِ لمّـا كانَ سُخطَ الإمامِ تـرْكُ الصّناعَهْ[١٤٠]

(الخفيف)

٣ـ نقش خاتمه:

سـيكون الـذي قضـي سِـخط العبـد أو رضـي[١٤١]

ومن خلال ما ورد في أشعاره وتصريحاته، يرى البحث أن أبا العتاهية كان جبري المذهب، وان الخير والشر الذي يصيب الإنسان والأفعال مقدرة من الله سبحانه وتعالى.

٤ـ وفاته:

قال أبو العتاهية لابنته في علّته التي مات فيها: قومي يا بنيّة فاندبي أباك بهذه الأبيات؛ فقامت فندبته بقوله:

لَعِـبَ البِلَـى بمَعـالمي وَرُسُـومي وَقُبِـرتُ حيّـا تحـتَ رَدْمِ هُمـومي

لَـزِمَ البِلـى جِسـمي فـأوهن قـوّتي إن البِلَـى لمُوَكَّـلٌ بِلُزُومـي[١٤٢]

(الكامل)

أخبرني الصّوليّ قال حدّثني محمد بن موسى عن محمد بن القاسم عن إبراهيم بن عبد اللّه بن الجنيد عن إسحاق بن عبد اللّه بن شعيب قال: أمر أبو العتاهية أن يكتب على قبره:

أذْنَ حـيٍّ تَسَـمّعي إسْـمَعي ثمّ عـي وَعـي

أنـا رَهْـنٌ بمَضْـجَعي فاحـذَري مثـلَ مَصـرَعي

عِشْـتُ تِسـعِينَ حِجّـةً فِي دِيَـارِ التّزَعـزُعِ

لَـيسَ زادٌ سِـوَى التّقَـى فَخُـذي منـهُ أو دَعـي[١٤٣]

(مجزوء الخفيف)

ويرى الباحث بحسب النقد الثقافي أن الشاعر اختار له ثقافة عقدية منتقاة من أكثر من مذهب لبناء ثقافة دينية وعقدية قامت به وهذا ما يفسر التضاد والازدواج بين تصرفاته وسلوكياته التي تناقلتها كتب التاريخ، وهذا ما يفسر تركيز الشاعر في معان دون غيرها لبناء مجتمع جديد يؤمن بمحاربة التقاليد الفاسدة، لصياغة الإنسان الجديد المبرأ من دنس الثقافة المهيمنة.

توفي أبو العتاهية في جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة ومائتين عن نيفٍ وثمانين سنة[١٤٤]، وقيل: توفي سنة ثلاث عشرة[١٤٥]، ودفن في بغداد وقبره على نهر عيسى قبالة قنطرة الزياتين[١٤٦].

ويذكر انه كان ذا منزلة عند الخلفاء والوزراء وعلية أهل الدولة، ومذهبه في سهولة الطبع وقرب المأخذ والبعد من التكلف متعالم غير مدافع حتى أن قائلا لو قال أنه أطبع الناس أجمعين لما خولف في قوله وهو مفتن في سائر أجناس الشعر وأنفذ قوله في آخر عمره فيما لم يشركه أحد ممن تقدمه من الشعراء ولا من تأخر عنه من القول في الزهد والمواعظ والعبر والأمثال[١٤٧].

٥ـ الزهد والحكمة والموعظة عنده:

انتشر الزهد وازداد أتباعه ازديادا ملحوظا، بحيث شكل حركة ذات سمات معينة، وفلسفة خاصة تجاه المواقف والموضوعات الدينية والسياسية والاجتماعية والثقافية، لذا عدت حركة الزهد امتدادا طبيعيا لما كان عليه رسول الله ﷺ، ومن تبعه من المؤمنين، ويرى شوقي ضيف: إن الزهد نشأ نشأة إسلامية خالصة، فقد دعا إليه القرآن الكريم ودعت إليه السنة النبوية[١٤٨].

فالقرآن الكريم يدعوا إلى إيثار الحياة الآخرة على الحياة الدنيا لما في الآخرة من طول ديمومة النعم، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[١٤٩].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[١٥٠].

وقد جاء حديث الرسول ﷺ من وحي الرسالة ومتمما لمكارم الأخلاق، مكتسبا شرعيته من الله سبحانه وتعالى إذ يقول: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ

﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[١٥١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾[١٥٢]، فكان يحث الناس على الإيمان والزهد ورياضة النفس، فعن سهل بن سعد الساعدي ﷺ قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله، دلني على عمل إذا أنا عملته أحبني الله وأحبني الناس، فقال رسول الله ﷺ: ((ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس))[١٥٣].

إن شعر الزهد الذي عرف عن أبي العتاهية، قد استغرق معظم شعره، إن لم نقل إنه استغرق كل شعره حتى المديح وشعر الهجاء، ليس بمعقول أن يكون قد نظم كل هذا الشعر في المرحلة الأخيرة وحدها من عمره، ثم لأن هناك ما يدلنا على أبا العتاهية كان يقول هذا الشعر الذي يسمونه شعر الزهد حتى في أوائل عمره، وفي عنفوان قوته وفتوته[١٥٤].

فلنذكر قصته مع فتيان الكوفة حين مر بهم، في أوائل أمره وعلى ظهره قفص فيه فخار يدور به في الكوفة ويبيع منه، فرآهم يتذاكرون الشعر ويتناشدونه، فحياهم، ثم عرض عليهم أن يقول شطر بيت من الشعر وراهنهم بعشرة دراهم أن يجيزوه، فإن فعلوا دفع هو الرهان وإن عجزوا دفعوه هم، وقد يلاحظ أن الفتيان قد خسروا الرهان فأكمل هو الشعر[١٥٥]، وكانت قصيدة، موضوعها يدور حول الموت والاعتبار بهذه الدنيا ومفارقتها بما بعد الموت، يقول:

سَـــاكِنِي الأجْـــدَاثِ أنْـــتُمْ ... مِثْلَنَـــا بِـــالأمْسِ كُنْـــتُمْ

لَيْـــتَ شِـــعري مَـــا صَـــنَعْتُمْ ... أرَبِحْـــتُمْ أمْ خَسِـــرْتُم؟[١٥٦]

(مجزوء الرمل)

ويجب أن نُذَكر بقول صاحب الأغاني: إن هذا كان في أوائل أمره، أي في شباب عمره، لا في آخر حياته، وإن الشطر الذي اقترح على الفتيان أن يجيزوه، كان نداء للأموات.

وصرح (**نجيب محمد البهيتي**) بقوله: لم يكن أبو العتاهية في بداية حياته زاهدا أو متدينا، بل سار سيرة الشعراء في عصره؛ يمدح، ويهجو، وينسب، وعرف كثيرا بشعر الغزل، وبعد ذلك انعطف إلى شعر الزهد، وكثرت أشعاره، في ذكر الموت، والتذكير بالآخرة، وفي الأمثال والحكم والموعظة التي تحمل على تدبر العبرة، وهو مذهب جديد من ناحية الموضوع، والتوسع فيه، اختار أبو العتاهية طريقته في التعبير، التي خالف فيها نهج الشعراء، وابتعد عن جادتهم، واهتدى إلى طريقة يعبر بها عن فنه الجديد[١٥٧].

عن ابن أبي الأبيض قال: أتيت أبا العتاهية فقلت له: إنّي رجل أقول الشعر في الزّهد، ولي فيه أشعار كثيرة، وهو مذهب أستحسنه؛ لأني أرجو ألّا آثم فيه، وسمعت شعرك في هذا المعنى فأحببت أن أستزيد منه، فأحبّ أن تنشدني من جيّد ما قلت؛ فقال: اعلم أنّ ما قلته رديء، قلت: وكيف؟ قال: لأنّ الشعر ينبغي أن يكون مثل أشعار الفحول المتقدّمين أو مثل شعر بشّار وابن هرمة، فإن لم يكن كذلك فالصواب لقائله أن تكون ألفاظه مما لا تخفى على جمهور الناس مثل شعري، ولاسيما الأشعار التي في الزّهد؛ فإن الزّهد ليس من مذاهب الملوك ولا من مذاهب رواة الشعر ولا طلّاب الغريب، وهو مذهب أشغف الناس به الزّهاد وأصحاب الحديث والفقهاء وأصحاب الرّياء والعامّة، وأعجب الأشياء إليهم ما فهموه، فقلت: صدقت[١٥٨].

- يرى الباحث - أن الزهد سيرة روحية فكرية انبثقت من رحم الإسلام الحنيف، تحمل في ثناياها النقاء والصفاء ونبذ كل مظاهر الترف، والبذخ والإسراف.

فكان الزاهد أقدم من وجد حلاوة الإيمان وأول الداخلين في ملكوت السماوات؛ إذْ إنه عَرَف الله عزّ وجل حق معرفته فمجّده وابتهل إليه واتكل عليه.

فقد كان للزهاد الأوائل السبق في عملية الإرشاد والتوجيه الفكري؛ وحمل رسالة الإسلام إلى أقصى بقاع العالم.

ومن هذا المنطلق كان الزهاد المرتكز الثابت في الأرض لبناء وإعداد المسلم، إعداداً نفسياً إيمانياً سليماً على وفق مناهج أكاديمية مدروسة واعدة بحياة إسلامية ضمن أفكار المستقبل، التي رسمت في الصورة الحقيقية التي أرادها الله سبحانه وتعالى.

فمن سمات الفكر الزهدي الحق أنه فكر أخلاقي، يدعو إلى ارتقاء العقل الإنساني إلى مراتب الخير والكمال، وأروع الصور في السلوك والمعاملات، كما يحفل بارتقاء الأمة حتى من غير المسلمين إلى الأخلاق الزهدية.

٦ـ نقده علماء الدين والمجتمع:

لقد كان أبو العتاهية يتحلى بسلطة شعره التي كانت مفهومة من قبل الجماهير، ويمارس النقد اللاذع الذي يحاكي به المجتمع آنذاك، ولاسيما علماء الدين والوعاظ والقضاة والزهاد في سلوكياتهم المتناقضة والمرفوضة من التعاليم الإسلامية:

بكـــى شـــجوَهُ الإســـلامُ مـــن عُلَمائـــهِ فمـــا اكترثـــوا لمـــا رأوا مـــن بكائـــهِ[١٥٩]

(الطويل)

فالشاعر هنا كسر النسق الثقافي الذي كان يتحلى به رجال الدين، إذ كانوا يوجهون الناس على وفق أهوائهم ومذاهبهم، ويشخص الإسلام ويجعله إنساناً حياً عاقلاً؛ لإثارة الأحاسيس والمشاعر؛ فتراه يبكي حزناً على ما آل إليه وضع علمائه، ولكن ليس هناك من يبالي ببكائه ويكترث له، لما نشب بينهم من خلافات فقهية أضلت الناس ولم ترشدهم إلى غايتهم في هذه الحياة، من هنا اتخذ الشاعر موقفا من فقهاء الأمة الإسلامية بدعوة الناس إلى سيرة الرسول الأكرم ونبذ كل ما هو دخيل عليها[١٦٠]، إذ قال:

يـــا بَـــني آدَمَ صونـــوا دينَكُـــم يَنبَغـــي لِلديـــنِ أَن لا يُطَّـــرَحْ

وَاحمَـــدوا اللَـــهَ الَّـــذي أَكرَمَكُـــم بِنَبـــيٍّ قـــامَ فيكُـــم فَنَصَـــحْ[١٦١]

(الرمل)

وقوله:

نبِـــيٌّ هـــدانا اللّٰهُ بَعْـــدَ ضَـــلالَةٍ بـــهِ لَـــمْ نَكُـــنْ لـــولا هُـــداهُ لنَهْتَـــدي

فكـــان رَســـولُ اللّٰهِ مفْتـــاحَ رَحمَـــةٍ مـــن اللّٰهِ أهـــداها لكـــلِّ مُوَحِّـــدِ[١٦٢]

(الطويل)

لقد أشيعت في ثقافة المجتمع العباسي التقلبات الفكرية والعقدية مما حدي به للحث والاقتداء بتعاليم الإسلام، وسيرة الرسول الأكرم ﷺ.

عاش أبو العتاهية في عصر يمكن وصفه بعصر الصراعات بأشكالها كافة، صراع الخير والشر، والصلاح والفساد، والإيمان والطاعة مع الشك والإلحاد، والارتقاء والانحطاط، كما عانى من العوز والفقر وضنك العيش، مع ملاحقات العبودية وضعة النسب فضلا عن مهنته الوضيعة، ومن خلال النقد الثقافي الذي يعيننا على تلمس الصورة التي كانت عليها البيئة التي نشأ فيها أبو العتاهية وترعرع[١٦٣].

الخاتمة:

إن المتتبعين لحياة أبي العتاهية ولاسيما المختصين منهم؛ لا يخفى عليهم كيف تشكلت شخصيته الشعرية، فقد كان لظروف حياته المتقلبة والصعبة المتمثلة بالفقر والعوز في بداية نشأته ووضاعة النسب، والمهنة التي عمل بها، أثرها الكبير في تردده وعدم وضوح فلسفته، فضلاً عن ما اتصف به عصره من ظهور للتيارات الفكرية المتصارعة إذ كانت باعثاً لغرس الشك في العقيدة الإسلامية ولاسيما لدى من لم يكن عربي الأصل، إلاّ أن ملكته الشعرية الفذة قد أعادت له القدرة على وضوح الرؤية، فكان التزامه الديني يعكس الرد على ما رُمي به من زندقة، وخلاعة، ومجون.

لقد كانت نزعة الزهد عند الشاعر نزعة قديمة، ترجع جذورها إلى بداية حياته في الكوفة، أو بعبارة أخرى، أنّ جذور هذه النزعة كانت في داخل شخصية الشاعر منذ نعومة أضفاره، لقد أملت عليه الحياة بمآسيها وشحتها أن يمر ويمارس كل الأمور الصعاب التي عاشها في ذلك المجتمع، فقد كان لديه الاستعداد الفطري للزهد، والميل إلى التذكير بالموت والقبر والموعظة والنصح، فضلا عن ذلك كبت الشهوات، كما أدرك أبو العتاهية عدداً من العباد والزهاد واتصل بحلقاتهم ومدحهم في شعره، وقد تأثر بهم؛ وأن العوامل الدينية كانت جلية في شعره؛ فمنها سار على طريق الإصلاح والرشاد أسوة بعلماء وزهاد عصره.

إن الشاعر كان يتعامل مع كل مرحلة من مراحل عمره ومجتمعه بثقافة المجتمع السائدة، محاولاً تغييرها مرة، والانصهار بها مرة أخرى، لذا اتسمت شخصيته بهذه الازدواجية محاولاً التكيف تارة أو الهروب والتمرد على ثقافة مجتمعه تارة أخرى.

هوامش البحث

(*) سويد اسم جده ولُقبَ كيسان في صغره لذكائه وكيسه، ينظر: بغية الطلب في تاريخ حلب، ابن العديم، ج٤: ١٧٥٢.

(*❖) سمي بالعيني نسبة إلى عين التمر ينظر: أعيان الشيعة، محسن الأمين، ج٣: ٢٩٣.

(١) ينظر، تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي،ج٦: ٢٤٩

(٢) ينظر، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، ج٣ :٥٢.
(٣) ينظر، موسوعة شعراء العصر العباسي، عبد عون الروضان، ج١: ٤٧.
(٤) ينظر، تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ج٢:٣٤.
(٥) ينظر، معجم ألقاب الشعراء، سامي مكي العاني:١٤٧.
(٦) ينظر، الأنساب، السمعاني، ج٤:٣٧١.
(٧) بغية الطلب في تاريخ حلب، ج٤: ١٧٥٣.
(٨) الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ج٤: ٢٦٥.
(٩) لسان العرب، ج١٣: ٥١٣.
(١٠) القاموس المحيط، ج٤: ٢٨٨.
(١١) البيت لرؤبة بن العجاج، ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم الانباري:٤٢٧.
(١٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٠: ٢٣٦.
(١٣) ينظر جرد الديوان في الملاحق.
(١٤) ينظر، الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري:٤٠٩-٤١٢؛ وينظر: طبقات الشعراء، ابن المعتز:٢٢٧-٢٣٤.
(١٥) ديوان أبي العتاهية، عبد الرحمن المصطاوي:٩٧-٩٨.
(١٦) ديوان أبي العتاهية، عبد الرحمن المصطاوي:١٢٩.
(١٧) م.ن:١٧٨.
(١٨) علم النفس اليونغي، يولاند جاكوبي:١٧.
(١٩) الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ج٤: ٢٦٤.
(٢٠) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي، ج١٠: ٢٣٦.
(٢١) ينظر، بغية الطلب في تاريخ حلب، ابن العديم، ج٤: ١٧٥٢.
(٢٢) ينظر، العصر العباسي الأول دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، عبد العزيز الدوري:١٠.
(٢٣) ينظر، صراع الحضارات وأثره في الشعر العربي في العصر العباسي الأول، احمد عبد القادر محمود:١٨.
(٢٤) ينظر، مستدركات أعيان الشيعة، حسن الأمين، ج٣: ٣٣.
(٢٥) ينظر، الأوراق، ج٣ :٤٨.
(٢٦) ينظر، مستدركات أعيان الشيعة، حسن الأمين، ج٣: ٣٣.
(٢٧) الأغاني، أبو فرج الأصفهاني، ج٤: ٢٦٥.
(٢٨) الأغاني، أبو فرج الأصفهاني، ج٤: ٢٦٥.
(٢٩) أعيان الشيعة، محسن الأمين، ج٣: ٢٩٧.
(٣٠) ينظر، علم النفس الاجتماعي، لويس كامل مليكة، ج٧: ٧٠٥.
(٣١) ديوان أبي العتاهية، عبد الرحمن المصطاوي:٩٩.
(٣٢) ينظر، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية، عبد الله الغذامي:٢٥٦.

(٣٣) ديوان أبي العتاهية، عبد الرحمن المصطاوي:٣٠٥.
(٣٤) ينظر، التحليل النفسي، سيجموند فرويد:١١٧.
(٣٥) ينظر، علم النفس اليونغي، يولاند جاكوبي:١٩.
(٣٦) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج٧: ٤٠١. للمزيد ينظر: بغية الطلب في تاريخ حلب، ابن العديم، ج٤: ١٧٥٠.
(٣٧) لسان الميزان، ج١: ٤٢١.
(٣٨) ينظر، الهوية الثقافية والنقد الأدبي، جابر عصفور:١١٣.
(٣٩) ينظر، الشخصية في ضوء علم النفس، محمد محمود الجبوري:٩.
(٤٠) ينظر، تاريخ الإسلام، شمس الدين الذهبي، ج١٥: ٤٥٨.
(٤١) ينظر، ديوان أبي العتاهية، كرم البستاني:٧.
(٤٢) ينظر، الفهرست، ابن النديم:٧٥.
(٤٣) ينظر، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، شوقي ضيف:٢٣٨.
(٤٤) ينظر، تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج٦: ٢٤٩.
(٤٥) ينظر، الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، حسين عطوان:١٢.
(٤٦) ينظر، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، شوقي ضيف:٢٣٩.
(٤٧) ينظر، بغية الطلب في تاريخ حلب، عمر بن احمد العقيلي، ج٤: ١٧٥٩.
(٤٨) ينظر، سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج١٠: ١٩٥.
(٤٩) ينظر، تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج٩: ١٠٧.
(٥٠) ينظر، جواهر الأدب، احمد الهاشمي:٥٨٥.
(٥١) الوافي بالوفيات، الصفدي، ج٩: ١١٣.
(٥٢) الأغاني، أبو فرج الأصفهاني، ج٤: ٢٧١.
(٥٣) الأغاني، أبو فرج الأصفهاني، ج٤: ٢٧١، ج٥: ٢٠٢.
(٥٤) م.ن، ج٣: ١٢٣، ج٤: ٢٧١.
(٥٥) ينظر، معجم رجال الحديث، السيد الخوئي، ج٢: ١٨٣.
(٥٦) ينظر، تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج١٤: ٢٣٤.
(٥٧) ديوان أبي العتاهية، عبد الرحمن المصطاوي ينظر: باقي الأبيات، من ٤الى١١،:٣٣٨-٣٣٩.
(٥٨) ديوان أبي العتاهية، عبد الرحمن المصطاوي ينظر: باقي الأبيات، من ٤الى٥ :١٧٠-١٧١.
(٥٩) ينظر، جوهر الإنسان، إيريش فروم:٤٧.
(٦٠) ديوان أبي العتاهية، عبد الرحمن المصطاوي:٣٥٠.
(٦١) المائدة: ٩٠.
(٦٢) ينظر، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، شوقي ضيف: ٦٦.

(٦٣) ينظر، مقدمة القصيدة في العصر العباسي الأول، حسين عطوان:١٤-١٥.
(٦٤) ينظر، الغزل في العصر العباسي الأول، عفيف نايف حاطوم:٥.
(٦٥) ينظر، التجربة الزهدية بين أبي العتاهية وأبي إسحاق الأليبري، محمود لطفي:٢١.
* كانت أحدى رسائل الجاحظ في القيان، وألف أبو الفرج الأصفهاني كتاب اسماه أخبار القيان، ينظر: الفهرست، ابن النديم:١٢٨ ؛ معجم المؤلفين، عمر كحالة، ج٨: ٧.
(٦٦) ينظر، تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج٢٢: ٤٥٢.
(٦٧) الأغاني، ج٤: ٢٦١.
(٦٨) ينظر، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، شوقي ضيف:٢٣٨.
(٦٩) ينظر، الشعر العباسي تطوره وقيمه الفنية، محمد أبو الأنوار:٢٠٩.
(٧٠) الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ج٤: ٢٦٤.
(٧١) الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ج٤: ٢٦١.
(٧٢) م.ن، ج٤: ٢٦٤.
(٧٣) ينظر، تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج١٣: ١٤٧.
(٧٤) ينظر، الإخوان، ابن أبي الدنيا: ٧٥.
(٧٥) ينظر، خلاصة الأقوال، العلامة الحلي: ١١٨.
(٧٦) ينظر، الاعتبار، ابن أبي الدنيا:٣.
(٧٧) ينظر: تاريخ الإسلام، الذهبي، ج٢٣: ٤٧٢.
(٧٨) العبر في خبر من غبر، الذهبي،ج١: ٢٨٢.
(٧٩) ينظر، المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية المشهور (شرح الشواهد)، بدر الدين محمود بن احمد ابن موسى العيني، ج١: ٣.
(٨٠) ينظر، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين السخاوي، ج٤: ١٧٨.
(٨١) ينظر، ثقافة الوهم، عبد الله الغذامي:٧٥.
(٨٢) ينظر، الخطيئة والتكفير، عبد الله الغذامي:٢٧٥.
(٨٣) ينظر، الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ج٤: ٢٦٥.
(٨٤) ينظر، تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج٦: ٢٥٤.
(٨٥) ينظر، البداية والنهاية، ابن كثير، ج١٠: ٢٩٠.
(٨٦) أبو العتاهية أخباره وأشعاره، شكري فيصل:٦٢٩.
(٨٧) ينظر، مستدركات أعيان الشيعة، حسن الأمين، ج٣: ٣٩.
(٨٨) ينظر، الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري:٤٠.
(٨٩) ينظر، الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ج٤: ٣٠٠.
(٩٠) ديوان أبي العتاهية، عبد الرحمن المصطاوي:٢٩٨.

(٩١) ينظر، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، القاضي التنوخي، ج٥: ٣١٧.
(٩٢) ينظر، التجربة الزهدية بين أبي العتاهية وأبي إسحاق الأليبري، محمد لطفي نايف:١٦.
(٩٣) ينظر، مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، ج٣: ٣٥٧.
(٩٤) ديوان أبي العتاهية، عبد الرحمن المصطاوي، ينظر: الأبيات، ٤، الى٤٧: ٢٥٠-٢٥١-٢٥٢-٢٥٣.
(٩٥) ينظر، أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تحقيق: شكري فيصل:٥٣٣.
(٩٦) ينظر، التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول، مجاهد مصطفى بهجت:١٠٥-١٠٦.
(٩٧) ينظر، العصر العباسي الأول دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، عبد العزيز الدوري:٨٧.
(٩٨) ينظر، ديوان أبي العتاهية، كرم البستاني:٨.
(٩٩) الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ج٤: ٢٦٣.
(١٠٠) ينظر، أعيان الشيعة، محسن الأمين، ج٣: ٣٩٧.
(١٠١) الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ج٤: ٢٦٣.
(١٠٢) م.ن، ج٤: ٢٥٦.
(١٠٣) ديوان أبي العتاهية، كرم البستاني: ٨.
(١٠٤) ينظر تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأوّل، شوقي ضيف:٢٤١- ٢٤٣.
(١٠٥) أبو العتاهية أخباره وأشعاره، شكري فيصل، ينظر: الأبيات من ١-إلى-٥ -من-٩-إلى-١٧ :١٥٤.
(١٠٦) تاريخ الأدب العربي لعصر العباسي الأوّل:٢٤١- ٢٤٣.
(١٠٧) أسطورة الزهد عند أبي العتاهية:٩١- ٩٣.
(١٠٨) التجربة الزهدية بين أبي العتاهية وأبي إسحاق الألبيري دراسة موازنة، محمود لطفي نايف:٧.
(*) منصور بن عمار بن كثير، أبو السري الواعظ، (ت، ٢٢٥هـ)، من أهل خراسان، وقيل: من أهل البصرة، سكن بغداد، وحدّث بها، ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي، ج١١: ١٠٨.
(١٠٩) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، شكري فيصل:٦١٩.
(١١٠) ديوان أبي العتاهية، عبد الرحمن المصطاوي:١٨١.
(١١١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، شكري فيصل:٥٣٧.
(١١٢) ينظر، جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، ج٢: ١٥٨.
(١١٣) ينظر، الشعر والشعراء:٤٠٩.
(١١٤) ينظر، طبقات الشعراء:٢٢٧.
(١١٥) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، شكري فيصل:٥٣٨.
(١١٦) ينظر: البيت، ١-٢، ديوان أبي العتاهية، عبد الرحمن المصطاوي:١٠٠.
(١١٧) ينظر، بغية الطلب في تاريخ حلب، ابن العديم، ج٤: ١٧٦١.
(١١٨) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج٦: ٢٥٠.
(١١٩) البيان والتبيين:٤١.

(١٢٠) تاريخ بغداد، ج٦: ٢٤٩.
(١٢١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، شكري فيصل:٣٧.
(١٢٢) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، شكري فيصل:٣٨.
(١٢٣) ينظر، الذريعة، آقا بزرك الطهراني، ج١٠: ١٨٠.
(١٢٤) ينظر، قاموس الرجال، محمد تقي التستري، ج١١: ٤١٧.
(١٢٥) ينظر، مستدركات علم رجال الحديث، علي النمازي الشاهرودي، ج٨: ٤٢١.
(١٢٦) الإنسان:٣٠.
(١٢٧) الأنعام:١٢٥.
(١٢٨) مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي، ج٣: ٢٤١.
(١٢٩) البقرة:٢٨٦.
(١٣٠) الزلزلة:٧-٨.
(١٣١) المدثر:٣٨.
(١٣٢) آل عمران:١٨٢.
(١٣٣) فصلت:١٧.
(١٣٤) الإنسان:٣.
(١٣٥) البرهان في تفسير القرآن، هاشم البحراني، ج١: ٨٩.
(١٣٦) ديوان أبي العتاهية، عبد الرحمن المصطاوي:١٣٩.
(١٣٧) م. ن، ينظر: الأبيات، ٤-١٤: ١٥٥.
(١٣٨) لم أجد البيتين في الديوان أو أشعاره وأخباره، ينظر: الأوراق، الصولي، ج٣: ١٠٦.
(١٣٩) ديوان أبي العتاهية، عبد الرحمن المصطاوي، ينظر: البيت٣٥٠:٤.
(١٤٠) ديوان أبي العتاهية، عبد الرحمن المصطاوي:٢١٤.
(١٤١) لم أجده في الديوان أو أشعاره وأخباره، ينظر: الأوراق، الصولي، ج٣: ١٠٦ ؛ الامالي، الشيخ المفيد:١١٦؛ الكنى والألقاب، عباس القمي، ج١: ١٢١.
(١٤٢) ديوان أبي العتاهية، عبد الرحمن المصطاوي: ٣١١.
(١٤٣) م. ن:٢٠٩، وفي الأغاني زيادة إذ تصبح القصيدة خمسة أبيات:

أذْنَ حـــــــيٍّ تسَـــــــمّعي ... إسْـــــمَعي ثمّ عـــــي وَعـــــي
أنـــــا رَهْـــــنٌ بمَضْـــــجَعي ... فاحـــــذَري مثـــــلَ مَصـــــرَعي
عِشْـــــتُ تِســـــعِينَ حِجّـــــةً ... أســـــلمتني لمضـــــجعي
كـــــم تـــــرى الحـــــيّ ثابتـــــا ... في دِيَـــــارِ التّزَعـــــزُعِ
لَـــــيسَ زادٌ سِـــــوَى التّقَـــــى ... فَخُـــــذي منـــــهُ أوْ دَعـــــي

ينظر: الأغاني أبو الفرج الأصفهاني، ج٤: ٣٣٦.

(١٤٤) ينظر، تاريخ الإسلام، الذهبي، ج١٥: ٤٦١.
(١٤٥) ينظر، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي، ج٢: ٢١٠.
(١٤٦) ينظر، إنباه الرواة على أنباه النحاة، علي بن يوسف القفطي، ج١: ٢٦٤.
(١٤٧) ينظر، بغية الطلب في تاريخ حلب، عمر بن احمد العقيلي، ج٤: ١٧٥٧.
(١٤٨) ينظر، التطور والتجديد في الشعر الأموي، شوقي ضيف:٥٧.
(١٤٩) الأنعام: ٣٢.
(١٥٠) العنكبوت: ٦٤.
(١٥١) الحشر: ٧.
(١٥٢) النجم: ٣-٤.
(١٥٣) المعجم الكبير، الطبراني، ج٦: ١٩٣.
(١٥٤) ينظر، مستدركات أعيان الشيعة، حسن الأمين، ج٣: ٣٦.
(١٥٥) ينظر، الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ج٤: ٢٩٢.
(١٥٦) ينظر، ديوان أبي العتاهية، عبد الرحمن المصطاوي:٣٠٨.
(١٥٧) ينظر، تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، نجيب محمد البهيتي:٣٩٨.
(١٥٨) ينظر، الأغاني أبو الفرج الأصفهاني، ج٤: ٣٠٧.
(١٥٩) أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، شكري فيصل:٥.
(١٦٠) ينظر، النقد الاجتماعي في شعر أبي العتاهية، حسين عبيد، بحث منشور في مجلة..:١٨.
(١٦١) أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، شكري فيصل، ينظر الأبيات، ١-٢-٥-٦-٧-:٩٩-١٠٠.
(١٦٢) م. ن، ينظر، الأبيات، ١-٤-٥-٦-٧-٨-٩-١٠-١١ :١١٦.
(١٦٣) ينظر، أبو العتاهية رائد في الشعر العربي:١١.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- الإخوان، عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا (ت،٢٨١هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن طوالبة، دار الاعتصام، (دمشق، د. ت).
٢- الاعتبار، عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا (ت، ٢٨١هـ)، تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف، دار البشير، ط١، (عمان، ١٩٩٣م).
٣- الأغاني، علي بن الحسين أبي فرج الأصفهاني (ت، ٣٥٦هـ)، دار إحياء التراث، (بيروت، د.ت).

٤- الامالي، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ المفيد(ت، ٤١٣هـ)، علي اكبر غفاري، دار المفيد للطباعة والنشر، ط٢، (بيروت، ١٩٩٣م).
٥- إنباه الرواة على أنباه النحاة، علي بن يوسف القفطي (ت،٦٢٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، ط١، (صيدا، ٢٠٠٤م).
٦- الأنساب، عبد الكريم بن محمد السمعاني (ت،٥٦٢هـ)، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان للطباعة والنشر، ط١، (بيروت، ١٩٨٨م).
٧- الأوراق، محمد بن يحيى الصولي (ت،٣٣٥هـ)، تحقيق: ج. هيورث. دن، شركة الأمل للطباعة والنشر، (القاهرة، ٢٠٠٤م).
٨- البرهان في تفسير القرآن، هاشم البحراني (ت، ١١٠٧هـ)، مؤسسة البعثة، (قم، د. ت).
٩- بغية الطلب في تاريخ حلب، عمر بن احمد العقيلي (ابن العديم، ت،٦٦٠هـ)، تحقيق: سهيل زكار، مؤسسة البلاغ، (بيروت، ١٩٨٨م).
١٠- البيان والتبيين، عمرو بن عثمان الجاحظ (ت،٢٥٥هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، ط١، (القاهرة، ١٩٢٦م).
١١- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي (ت،٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٩٩٧م).
١٢- تاريخ الإسلام، محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت، ٧٤٨ه)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط١، (بيروت، ١٩٨٧م).
١٣- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر (ت، ٥٧١ه)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر، (بيروت، ١٤١٥هـ).
١٤- جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر (ت، ٤٦٣ه)، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٣٩٨ه).
١٥- خلاصة الأقوال، الحسن بن يوسف بن المطهر العلامة الحلي (ت، ٧٢٦ه)، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، (قم، ١٤١٧ه).
١٦- الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم الانباري (ت، ٣٢٨ه)، تحقيق: يحيى مراد، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ٢٠٠٤م).
١٧- سير أعلام النبلاء، محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت، ٧٤٨ه)، تحقيق: شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٩، (بيروت، ١٩٩٣م).
١٨- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي (ت، ١٠٨٩ه)، تحقيق: محمد الارنائوط، ط١، (بيروت، ١٩٨٦م).
١٩- الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري (ت، ٢٧٦ه)، تحقيق: مفيد قميحه، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٩٨١م).

٢٠- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين السخاوي (ت، ٩٠٣هـ)، دار الجيل، ط١، (بيروت، ١٩٩٢م).
٢١- طبقات الشعراء، عبد الله بن المعتز (ت،٢٩٦ه)، تحقيق: عبد الستار احمد فراج، دار المعارف، ط٣، (القاهرة، د. ت).
٢٢- العبر في خبر من غبر، شمس الدين الذهبي (ت، ٧٤٨ه)، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد، دار الكتب العلمية، (بيروت، د. ت).
٢٣- الفهرست، ابن النديم البغدادي (ت، ٤٣٨ه)، تحقيق: رضا تجدد، مطبعة رشت، (طهران، ١٩٧١م).
٢٤- القاموس المحيط، الفيروز آبادي (ت، ٨١٧ه)، دار انتشارات، (قم، د.ت).
٢٥- لسان العرب، ابن منظور (ت، ٧١١هـ)، دار صادر، (بيروت، د.ت).
٢٦- لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني (ت، ٨٥٢ه)، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ط٢، (بيروت، ١٩٧١م).
٢٧- مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي (ت، ١٠٨٥ه)، مطبعة مرنضوي، ط٢، (طهران، د.ت).
٢٨- مروج الذهب ومعادن الجوهر، علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت، ٣٤٦ه)، منشورات دار الهجرة، ط٢، (قم، ١٩٨٤م).
٢٩- المعجم الكبير، سليمان بن احمد الطبراني (ت، ٣٦٠ه)، تحقيق: حمدي عبد المجيد، دار إحياء التراث العربي، ط٢، (بيروت، ١٩٨٥م).
٣٠- المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية المشهور (شرح الشواهد)، بدر الدين محمود بن احمد بن موسى العيني (ت، ٨٥٥ه)، تحقيق: علي محمد فاخر ؛ احمد محمد توفيق ؛ عبد العزيز محمد فاخر، دار السلام، ط١، (القاهرة، ٢٠١٠م).
٣١- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي (ت، ٥٩٧ه)، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٩٩٢م).
٣٢- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي (ت، ٨٧٤ه)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، (القاهرة، د. ت).
٣٣- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، القاضي التنوخي (ت، ٣٨٤هـ)، تحقيق: عبود الشالجي، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٧٣م).
٣٤- الوافي بالوفيات، الصفدي (ت، ٧٦٤ه)، تحقيق: احمد الارناؤوط، دار إحياء التراث، (بيروت، د.ت).

المراجع:

١- أعيان الشيعة، محسن الأمين، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، (بيروت، د. ت).
٢- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، نقله إلى العربية: عبد الحليم النجار، دار المعارف، ط٤، (القاهرة، د. ت).

٣- تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، نجيب محمد البهيتي، دار الكتب المصرية، (القاهرة، ١٩٥٠م).
٤- التحليل النفسي، سيجموند فرويد، ترجمة: سامي محمد علي، المؤسسة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ٢٠٠٠م).
٥- التطور والتجديد في الشعر الأموي، شوقي ضيف، دار المعارف، ط٨، (القاهرة، د. ت).
٦- التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول، مجاهد مصطفى بهجت، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ط١، (بغداد، ١٩٨٢م).
٧- ثقافة الوهم (مقاربات حول المرأة والجسد واللغة)، عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، ط٢، (الدار البيضاء، ٢٠٠٦م).
٨- جواهر الأدب، احمد الهاشمي، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، (بيروت، د. ت).
٩- ديوان أبي العتاهية، اعتنى به: كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٨٦م).
١٠- الذريعة، آقا بزرك الطهراني، دار الأضواء، ط٢، (بيروت، ١٤٠٣ه).
١١- الشخصية في ضوء علم النفس، محمد محمود الجبوري، مطبعة دار الحكمة، (بغداد، ١٩٩٠م).
١٢- الشعر العباسي تطوره وقيمه الفنية، محمد أبو الأنوار، دار المعارف، ط٢، (القاهرة، ١٩٨٤م).
١٣- الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، حسين عطوان، دار الجيل، ط٤، (بيروت، ١٩٨٧م).
١٤- العصر العباسي الأول دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، عبد العزيز الدوري، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط٣، (بيروت، ١٩٩٧م).
١٥- علم النفس الاجتماعي، لويس كامل مليكة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ٢٠٠٢م).
١٦- علم النفس اليونغي، يولاند جاكوبي، ترجمة: ندرة اليازجي، الأهالي للطباعة والنشر، ط١، (دمشق، ١٩٩٣م).
١٧- الغزل في العصر العباسي الأول، عفيف نايف حاطوم، دار حاطوم، ط١، (بيروت، ١٩٩٦م).
١٨- قاموس الرجال، محمد تقي التستري، مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، (قم، ١٤٢٢ه).
١٩- الكنى والألقاب، عباس القمي، تقديم: محمد هادي الاميني، مكتبة الصدر، (طهران، د. ت).
٢٠- مستدركات أعيان الشيعة، حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، (بيروت، ١٩٨٩م).
٢١- مستدركات علم رجال الحديث، علي النمازي الشاهرودي، مطبعة حيدري، ط١، (طهران، ١٤١٥هـ).
٢٢- معجم ألقاب الشعراء، سامي مكي العاني، مكتبة الفلاح، ط١، (دبي، ١٩٨٢م).
٢٣- معجم رجال الحديث، السيد الخوئي، مطبعة القضاء، ط١، (النجف الأشرف، د.ت).
٢٤- موسوعة شعراء العصر العباسي، عبد عون الروضان، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط١، (عمان، ٢٠٠١م).

٢٥- النقد الاجتماعي في شعر أبي العتاهية، حسين عبيد الشمري، مجلة المصباح، العدد، (كربلاء المقدسة).
٢٦- النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية، عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، ط٣، (الدار البيضاء، ٢٠٠٥م).
٢٧- الهوية الثقافية والنقد الأدبي، جابر عصفور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ٢٠١٠).

الرسائل والبحوث:

١- التجربة الزهدية بين أبي العتاهية وأبي إسحاق الأليبري، محمود لطفي نايف، رسالة ماجستير جامعة النجاح الوطنية، (نابلس، ٢٠٠٩م).
٢- صراع الحضارات وأثره في الشعر العربي في العصر العباسي الأول، احمد عبد القادر محمود، رسالة ماجستير جامعة النجاح الوطنية، (نابلس، ٢٠٠٣م).
٣- النقد الاجتماعي في شعر أبي العتاهية، حسين عبيد الشمري، مجلة المصباح، العدد، (كربلاء المقدسة).